# جناية المنتسب العاني

## فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني

---


تأليف

سيدى الحاج أحمد سكيرج

قاضى نواحى مدينة سطات

بالمغرب الأقصى


---

جعل الله مقره فى عليين

١٢٩٥ - ١٣٦٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلي الله علي سيدنا محمد الفاتح الخاتم

# جناية المنتسب العاني

## فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني

الحمد لله الذى أنقذنا من ظلمات الجهل إلى نور الحق، وهدانا إلى ما فيه خير الدارين بفضله الشامل لجميع الخلق، فأجبنا الداعى لما دعانا حى علي الفلاح.

والله لولا الله ما اهتدينا . ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا . وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الذين قد بغوا علينا . إذا أرادوا فتنة أبينا

والصلاة والسلام علي الهادي النبى الرسول، الفاتح الخاتم الذى يتم به المأمول وبلوغ السول، سيدنا ومولانا محمد الجامع لجميع الأسماء والمسميات الذي لولاه ما وجد شيء من الموجودات، وعلي آله الذين لهم الشرف الباذخ، والمجد الشامخ، وأصحابه السالكين علي الصراط السوي، الذي لا يحيد عنه إلا غوي، ورضي الله تعالى عن ساداتنا أهل الله، وكل من انتسب لهم واقتدي بهم في السلوك لحضرة الله.

أما بعد، فيقول العبد الراجى مغفرة مولاه، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، زاد الله في معناه، وبلغه فى الدارين فوق ما يتمناه، لما من الله علي برفع النقاب في الطريقة الأحمدية التجانية، بعد كشف الحجاب عن مخدرات الأسرار الربانية، ومنحني يد العناية فيها نيل الأماني، وبلوغ المقصود بما سرى في جميع ذاتي وروحي من محبة شيخنا مؤسسها الختم الأكبر

سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه ، وعنا به ، الذي توصلت به إلي المحبة الحقيقية فى سيد الوجود ، منبع الفضل والجود ، عليه الصلاة والسلام ، حيث كان حبه من حبه وقربه من قربه ، حصل لى بحمد الله ولا فخر ، في طريقته المحمدية ملكة ، أعرف بها ما اشتملت عليه فى الغالب مما لم يكن غيري ملكه ، وقد وقفت علي كثير من الأمور بعدها من هي عنده من الأسرار وجلها من وضع المقولين الأشرار ، ممن تقولوا علي الشيخ رضي الله عنه وعلي أصحابه الأخيار ما يتعين علي محبيهم المبادرة لنفيه عنهم بكل إنكار ، فجمعت فى هذا التأليف المسمي : جناية المنتسب العانى فيما نسبه بالكذب للقطب التجانى ، ما حفظته بالتقييد من المجاميع التى ظن من هي عندهم أنها من الذخائر ، فضنوا بها علي من يريد الاطلاع عليها من إخوانهم ، ويبادرون باشاعتها لمن يحبون أن يتبجحوا بها بين أقرانهم ، كما جمعت بعضها مما يذكر فى المجامع علي لسان بعضهم ويظنون أنها من عمل البر والخير ، مع أن ذلك كله من التقولات عليه رضى الله عنه ، وعلامة الوضع عليه تلوح ، وتضيق عند سماعها للعارف بأنها من التقولات النفس والروح ، لما فى ضمنها من المفاسد التى تزيد في إنكار المنكر والمعاند ، وتؤدى إلى سوء الظن من المعتقد ويتسع بها مجال الانتقاد للمنتقد ، مع أنها ليست من الطريقة التجانية في شيء ، وإن عظم قدرها عند جهال الحقيقة ، وسأورد منها فى هذا التقييد ما يراه بعض جهلة المقدمين من الأسرار والمعارف التي ينوه بقدرها فينكر المعروف المسدي إليه بيان الحقيقة لأهلها ، ولحمة سرها ، أما العارف بنا وراء الأكمة ، فليس بأخرس ولا أكمه ولا يقوده الهوى والتعصب النفسي في هضم جانب الحق بمعول الإنكار والانتصار بالباطل الذي يجره حتى يقع به فى مهاوي الطريق ، في مكان سحيق ، حيث سار بلا دليل ، وقد قيل فى نصح النبيه النبيل :

لا تسلكن طريقا لست تعرفها ... بلا دليل فتهوي فى مهاويها

فلنقدم قبل بسط الكلام فيما قصدناه ... في هذا الموضوع مقدمتين :

# المقدمة الأولى

في كون الشيخ التجاني رضي الله عنه تبرأ مما لا يوافق
الشرع مما ينسب إليه لتحققه بأنه يتقول عليه في طريقته

قبل الخوض في هذا البحر الذى اتسعت جوانبه ووقف عند سواحله المتبصرون يحوقلون ويسبحون لله بين من فيه يسبحون ، نركب متن مركب تجرى بإذن ربها والأهواء تثير في النفوس ما كمن من خير وشر حتي تقف بنا علي جودي المعرفة بالحق ، فنعبر عما انطوى عليه الضمير فى حق مؤسس هذه الطريقة الأحمدية التجانية سيدنا ختم الأولياء المحمديين رضى الله عنه مصرحين باعتقادنا فيه من أنه رضي الله عنه يجري عليه ما يجرى على الأولياء ممن لم يحصل علي مرتبة النبوة ، فهو غير معصوم ولو بعد تحققه بالمقام المختص به من الولاية المحمدية الخاصة ، غير أنه رضي الله عنه محفوظا حفظا لم يبلغ درجة العصمة وإن كان له في الختمية مشرب خاص من عينها الصافية فى حضرات القرب والتداني من الوراثة المحمدية ، فلا ينبغي اعتقاد العصمة الثابتة للأنبياء فيه ، ولكن لا ينبغي رميه بما غير المعتقد فيه يرميه ، والتثبت في هذا المقام من شيم المنصفين المتصفين بقبول الحق والقول به ، فإن سيدنا رضي الله عنه قد تحقق بأنه سيقع الكذب عليه من المختلفين المختلفين فى تصديق أهل الله المكذبين لهم والكذابين فى حق أمثاله ، فتبرأ مما سينسبونه إليه من كل ماينافى الشرع ، فقال : إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع ، فما وافق فخذوه ، ومالم يوافقه فاطرحوه . وإذا تقرر لديك هذا ، أيها المنصف ، كنت معتقدا أو منتقدآ ، فلا شك أنك لا تقبل الترهات المنسوبة لهذا السيد الجليل، المصرح بالتبرى منها، سواء تحقق لديك أنها متقولة عليه أو منقولة عنه ، نقلها عنه أحبابه أو أعداؤه ، ذكرت فى كتب المؤلفين في طريقته أو غيرهم ، أو شاعت وذاعت بين أصحابه أو غيرهم ، فهو متبرىء من جميع

ذلك ، ويكفي فى تبرئته ، سلوكه على الجادة والتبرى مما يخالف الشرع ، قولا وفعلا وحالا ، ولهذا نلفت نظر كل موفق إلى الاعتراف بكون ما يجنيه الجانى سواء كان منتسبا للطريقة أو غيرها ينسب لها بما يقوله فى حق الشيخ رضي الله عنه ، أو يتقوله عليه من كل مالا يليق صدوره من أهل الله والأولياء أمثاله الكبار ، كل ذلك لايضر بمنصبه ، رضي الله عنه ، وإنما وبال ذلك يعود على مختلقه الكذاب عليه ، وجميع مانعرضه في هذا المعرض من هذا القبيل مما نعترضه وننفيه عنه ، لم يكن منا إلا عن بينة مؤيدة بالحق فى الحق ، ولربما تمسك بها بعض المبغضين ونقلها على ماهي عليه من الانتحال والتقول ، وأشاعها من غير أن يتعرض لانتقادنا لها ونفيها عن ساحة هذا الجناب المعظم ، مريداً بذلك تشويه وجه الحق بما يقتضيه هواه ومايوحي به إليه ضمير السوء ، وشيطانه وأقرانه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

# المقدمة الثانية

## في كون التقولات تضر بالمعتقدات

## وهي السبيل للانتقادات

لو بين المقدمون في الطريقة لإخوانهم المتمسكين بحبلها والمريدين للدخول إليها ، أن مازاد على الذكر اللازم فيها من ورد ووظيفة وذكر جمعة غير لازم للمريد ذكره ولا اعتقاده ، لخفت وطأة الإنكار على طريقتهم المحمدية ، ولاقرح المبغضون بما يقفون عليه مما مد لسانهم في الانتقاد على أهلها . ولكن لما اتسعت الطريقة بكثرة المقدمين والمتقلدين لقلادة عهدها وكثر الداخلون فيها واختلط مع الاصليين فيها الدخلاء أصحاب الأغراض ، ضاقت حوصلة السامعين لما يشيعه هؤلاء القوم في الطريق ، واضطربت الأفهام فيما يحدثون به من فضل الطريقة التجانية وأهلها مع ذكر المناقب التي يعمرون بها المجالس وينقلها عنهم غيرهم ويتناقلها من لهم أغراض في هتك الأعراض ، وقد أعانهم على ذلك الجهال من أهل الطريقة وبعض المقدمين الذين استحوذوا على العامة فيها بما يشيعونه بينهم مما يستحق النكير من ذكر مناقب

لا أصل لها فى الطريق وذكر كرامات ومزايا وفضائل وأسرار وخصائص امتازت بها خواص السالكين فيها بالافتراء عليهم ، وقـــد عمت البلوى بتصدر جل هؤلاء المقدمين وهم جهال لتلقين الطريقة لطالبيها ، فيأخذها عنهم المريدون لها ، ويتلقون ذلك عنهم وعن غيرهم من غير تثبت ولا استبصار ، فيزيدون فى الشيء وينقصون منه ويحملونه على مالا يفهمون، ويحدثون به وهم لا يعلمون، فيعظم بسبب ذلك على الطريقة الإنكار من المنكرين ، حتى يجر ذيله على الشيخ رضي الله عنه بسببه وهو برىء مما نسبوا اليه ، وقليل من المقدمين من يقف موقف الإرشاد فى الطريق على قدم الجد والاجتهاد ، ويباعد نفسه عما يفضي للانتقاد ويحذر من الزيادة فيها بما لم يكن منها ، فإن الزيادة فى الشيء نقصان ، وكثير من المتصدرين منهم للتلقين ، لامعرفة له بفقه الطريقة ، ويعد نفسه فى الإخوان فى أرفع مكان ، وقد يفضي به الأمر إلى التأمر عليهم والترؤس فيسخط على من لا يوافقه على مراده وها هنا تختلف المقاصد منهم ، وقليل من لا غرض له ممن يدعى الخصوصية منهم والمزية لنفسه من المحقين ، فأحرى المبطلين ، فمن المقدمين الذين بيدهم التقديم للتلقين ، من يحب الظهور بين إخوانه ، ليستولى عليهم بما يسلكه من الاحتيال ليعتقدوا فيه ، فيتظاهر بالتنسك بينهم بملازمة زاوية من زوايا الشيخ ، ويجلس بعيدا عن الإخوان ، ليستلفت أنظارهم بذلك ويكثر من دوران سبحته علانية ، وربما أدخلها تحت ثيابه ، ويهز يده المرة بعد المرة ، كأنه يقول بلسان الحال : انظروني ، ها أنا أذكر ، كثيراً عند ما يرى شخصا ينظر اليه ، ويزيد فى سترها ، وهو بذلك يقصد إظهارها ، حتى إذا جلس لديه أخ من إخوانه ليتذاكر معه ، يصير يقاطع كلامه معه بهمهمة لا تفهم ويريه من نفسه أنه يذكر اسما من الأسماء المهمة ، له سر من الأسرار العالية فتتشوف نفس ذلك المريد الذى جالسه إلى الاستطلاع على سر تلك الهمهمة بشيء ما عليه مزيد ، فيطلب منه أن يصرح له به ، أو يأذنه به ، ويؤكد عليه في إخباره ببعض خواصه ، فيجاريه ذلك الذاكر مجرى مائه ، ويزيد في طنبوره نغمة بما يزيد به ذلك المريد حرصا على حرص ، فيتعلق بأذيال الذاكر ذلك المريد تعلق الضرير بقائده ، وهو يكثر من تسويفه وتشويقه ، وربما

رأي هذا المريد وغيره يتردد إلى هذا الذاكر في محل تنسكه ، وربما يكون سمع من هذا المريد ونحوه ما شاهده من حال هذا الذاكر المكثر لدوران سبحته ويقول ماذاك إلا لسر عظيم ، فيزاحمه في الجلوس بين يديه ، وهناك يبدي لهم من أسراره ما أسره بما يزيدهم اهتبالا به ، وتتسع دائرة اشتهاره شيئا فشيئا فيعتقد فيه إخوانه علي قدر مابان لهم من ناموسه المحفوظ لديه ، فيطلبون منه ماطلبه منهم أخوه الفائز بمعرفته أولا ، فيختلق إذ ذاك أذكارا من عندياته أو من محفوظاته المستغربة ، لها خصائص عظمى تنقلها عن خواص المقدمين من أصحاب الشيخ رضي الله عنه ، ويسمى شخصا من المشهورين منهم ، أو يسمى من شاء ممن لا تعلق له بالشيخ ، أو بمن لاوجود له أصلا ، ويقول : قد روى هذا عن الشيخ هـــذا الذكر العظيم ، العديم النظير ، ويتجرأ علي نسبة ذلك للشيخ رضى الله عنه ، فينقل ذلك عنه ويشيع ، فيتناقله النقلة بالتقييد الذي يعثر عليـــه المتلهفون علي الوقوف علي الأسرار والأذكار الغريبه ، ويظنون أنهم حصلوا علي مالم يحصله غيرهم ، فينوهون به أكثر من الذكر اللازم في الطريق ، وربما اشتغلوا به أكثر من اشتغالهم بالمهم فيها من إقامة شعائر الدين ، إلى أن يصدر التنكير ويكثر الانتقاد من أهله ، ويحيد عن الحق من كان جادا فى الطريق بالسلوك فيها علي أقوم محجة إلى الجانب الذى لاحجة معه فيه ، فيؤدى به ذلك ونحوه إلى الرفض للأذكار اللازمة فيها ونقض عهده فيهـا من حيث لايشعرون أو يشعرون ، وفى ذلك ترجع عليهم وحدهم الملامة ، ويفتضح أمرهم ولو بعد حين بواضح الكرامة .

ومن المقدمين المتقدمين لتلقين الأوراد بأنفسهم من غير إذن لهم فى التلقين ، وربما كانوا تلقوه عن أمثالهم المنتحلين له في الطريق أو كانوا تلقوه عن المحقين لها ، وهم لايعلمون ماتلقوه عنهم ، فكانوا بذلك من المبطلين ومع ذلك قد يساعدهم الحظ بالظهور التاصم للظهور ، بإقبال العامة عليهم ، بأسباب ظاهرية أو باطنية في مبادئ ، صحيحة أو واهية ، فيقتدي بهم من لا معرفة له بالطريقة ، ولا تلقاها عن أهلها من ذوى الحقيقة ، ولا تلاق بواحد منهم فيتقول هو عن الشيخ رضي الله

عنه مناقب وكرامات ، ونحـــو ذلك مما لاحقيقة له في الواقع ، وربما زاد ذلك غلوا فى قلوب من ساقتهم المقادير اليه ، فكانوا من شاكلته وحزبه ، يتحزبون على من لم يكن من المتماشين إليه ، فيحصل التدابر والتقاطع فيما بينهم ، ولاتقف القطيعة فيما بين الجميع إلى هـذا الحد بل تتجاوز في سريانها إلى أحباب كل فريق فى الطريق وغير الطريق ، ومنشأ ذلك عدم الوقوف مع الجادة التي كان عليها الشيخ رضى الله عنه ، وقدم فيها مقدميه للتلقين ، ولم يلتفتوا إلى خواص ولا إلي أسرار غـــير ماتلقوه عنه من ورد ووظيفة وذكر جمعة ،لأن هذه الأمور الثلاثة عليها مدار الطريقة بعد القيام بأداء المفروضات بإتقان ، وما زاد علي ذلك فهو إما فضل أو فضول ، وأنواع الفضول كثيرة ، كذكر مقالات نقلت عن الشيخ رضي الله عنه علي غير وجهها وذكر تقولات تنحط بهـا مراتب قائلها وناقلها من أوجها وبعد ذلك عند بعض المعتقدين فى الطريقة على حسب هواهم من المناقب وعند المنتقدين علي حسب أغراضهم من المثالب ، ولسان حال الشيخ رضي الله عنه ينشدهم :

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدي ولـكنها الأهواء عمت فأعمت

ومن المقدمين المذكورين ومن شاكلهم من الإخوان من يشتغل بجمع الغث والسمين من كل مانسب للشيخ رضي الله عنه سواء حدثه بذلك إخوانه فى الطريق أو غيرهم ممن لهم اعتقاد أو مقاصد يقصدها المختلق لها منهم،ويري ماجمعه من ذلك من الأسرار العالية ، والذخائر الغالية ، فيأذن في بعضها لهذا ولهذا ، وما لديه إذن صحيح فيها ، أو بعد ذلك من المأذون له فيه ويتجرأ في الإجازة بذلك لغيره ، ويبث فى روعه أنها من أذكاره الخاصة التى انفرد بها وبتلقينها عن الشيخ رضي الله عنه ، وينوه بذلك في مجامع العامة ومن لا معرفة لهم بالمختلق من الأذكار والمناقب ، ويشيع ذلك بينهم حتى يعد في حيز ما هو مروى عن الشيخ رضي الله عنه ، فيقوم المنكر علي ساق ، وربما أفضي إنكاره للإنكار علي الشيخ رضي الله عنه في ذلك ، مع أنه برىء الساحة منه . وإنما اللوم فى ذلك علي جامع تلك الخزعبلات التي نقلت علي ماهي عليه من غير تثبت في النقل ، ولاروية ممن ثبت له في الطريقة تحقق فضل ، فذكر مثل ذلك من أذكار الطريقة ، لاينبغي الاعتماد

عليه ، والتنويه بمثل ذلك يتعين عـــدم الاستناد إليه ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

## إخبـــار واقـــع

قد حصل لي في ابتداء سلوكي في طريقتنا المحمدية التجانية ولوع كبير في الاستطلاع على ما يذكر من الأذكار في هذه الطريقة ، ويعد من أسرارها بين ذوي الحقيقة ، وكثيرا ما ترددت على بعض من ذكرها بعض أوصافهم ، ولم نسمهم هنا اتقاء لجرح العواطف ، فإن كثيرا من الإخوان يتأثرون لمثل ذلك ولا يقبلون إمحاض النصح لهم في السلوك على ما كان عليه الشيخ رضي الله عنه لما لهم من الأغراض الشخصية ، وفي أثناء اشتغالي بالاستطلاع علي ذلك ، كنت أرى من أحوال من يخبرني بمثل هـــذه الأمور ما تحققت الاسترابة عندي فيما يحدثني به ، فتركت كثيرا من ذلك ، وفوضت الأمر إلي الحق في إرشادي إلى الصواب بالتوفيق في هذه الطريق ، ولما علم الحق صدق توجهي من علي بمعرفتي للأخذ بيدي شيخنا العارف بالله ، سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي قدس سره فكشف لي عن وجه الحقيقة ، وعرفت به معنى الطريقة ، وصرت علي بال من مثل هذه الأقوال ، وقد اطلعت علي كثير من ذلك مما ذكرت بعضه وكتمت جله ونبهت في غير هذا المحل علي ما ذكرته مما يذكر منها ، ترويحا للنفس وترويجا للبضاعة المزجاة ، بنية صالحة يعلم منا الله صدقها بما نسأل أن يعظم بها الثواب ، ويتجاوز عما أخطأنا فيه طريق الصواب ، ثم إن جميع ما ذكرناه في هذا التأليف ، لا إلزام منا لأحد فيه باعتقاده ، وما علينا فيه أن بادر إلى انتقاده ، فإني لم أقل ما قلته لغرض سوي إفادة الأحباب والإخوان بمـا ينبغي العمل به في هذه الطريقة المحمدية ، خوفا من الزيادة فيها ممـا يكون في حيز النقصان ، وعلى الله التكلان .

## لاحقة يحق أن تكون في هذا الموضوع سابقة

يا أيها الذين تقلدوا بقلادة عهد هذه الطريقة التجانية السالكون فيها علي

قدم الصدق، والمريدون فيها بلوغ القصد ، بحسن نية وجميل اعتقاد ، إنى في هذا التأليف ، سأقص عليكم مما نسب للشيخ رضي الله عنه ، من أمور يظنها جهلة الاخوان من المناقب ، وهي من أقبح المثالب ، مع أنها لا أصل لها فيتعين عليكم أن لاتقبلوها ممن يحدثكم بها ولا بمثلها ، فإنها من الترهات فى الدين ، والخزعبلات التى تسر المنتقدين ، ولقد كان الأولى عدم تعرضي لها خشية إشاعتها بين الجهلة الذين يصورون الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ، ويحملها أعداء الطريقة على محامل الانكار القطيع بتحقيق كون ذلك من الأمور الثابتة عن الشيخ مع أنها غير ثابتة عنه ، فيتسع لهم المجال في هذا المقام بتشنيع المقال ، والله حسيب المختلقين ، وهو خير الماكرين بالمنكرين . ولولا خوف عثور بعض المتمردين على ما نسب منها للشيخ بغير تنبيه على بطلانها ، ممن يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، لما ذكرت شيئا منها ، على أنى لم أذكر إلا اليسير من الكثير الذى لا زالت الجهلة من الاخوان يعدونه من الأسرار ، وهو من اختلاق الأشرار والشيخ رضي الله عنه برىء من ذلك ، ومتبرىء من كل مالا يقبله الشرع ، ولهذا أزيدكم هنا تأكيدا على التثبت عند سماع ماينسب للشيخ ، فلا تقبلوا من ذلك مايخالف الشرع فإن طريقة الشيخ ، طريق مستقيم ، لايتوقف فيه على مثل ذلك فلتردوا بالكم فيما آتيكم به من التقولات التى عثرت عليها ، خشية التردى فى مهاوي الردي ، والله يحفظنا وإياكم من شر كل ذي شر ، ويأخذ بيدنا وأيديكم في الجهر والسر ، وماتوفيقي إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الكلام علي المناجاة المنسوبة لسيدنا رضي الله عنه

قد عثرت علي نسخ مختلفة من المناجاة المنسوبة للشيخ رضي الله عنه لدى بعض من يظن أنها من الأسرار المدخرة ، وماهي إلا من التقولات التي اختلقها من لا يراقب الحق ولايخشاه فى إفراغها فى قالب مكالمة الحق للشيخ قدس سره ومناجاة الشيخ للحق ، والله أعلم بما قصده بذلك ، ولعل ذلك من إنشاء بعض الجهلة في الطريق الذين يريدون جلب القلوب للتمسك بحبل الطريقة لمن لم يبلغه نحو هذه الخزعبلات،

وهو لا يعرف ماوراءها من الجناية التي تلحقه فيها عقوبة الافتراء على الله بما قصده من استجلاب القلوب التي تتأثر بمثل ذلك ، فهو في اختلاقه جرى مجري ما اختلقه الخوارج ونحوهم من الشيعة الذين اختلقوا ما يظنون أنه يؤيد مذهبهم من الأحاديث ، وهم بها قد ضلوا وما كانوا مهتدين ، وغالب صدور مثل هذا الأمر من المقدمين الجاهلين بما كان عليه الشيخ رضي الله عنه من الجد وعدم خروج طريقته عن الحـــد . فيموهون بذلك على العامة ويتظاهر بذلك فى مظاهر الخاصة كما أشرنا اليه فيما قبل . أو يكون ذلك من دس بعض المبغضين في الطريقة ليجدوا بذلك طريقا للإنكار على الشيخ الذى لم يصدر منه شيء من ذلك ، وتبعهم على ذلك من نحا منحاهم . فلنعرض عن مقاصدهم ولنبين الحق بالوجه الذى نحققناه من جانب الشيخ رضي الله عنه وتنزيه ساحة طريقته المحمدية من كل ما هو من هذا القبيل فنقول :

من المقولات عليه رضي الله عنه أنه قال : لو سمع العلمـــاء منى مايكلمنى به ربى في سري من الأسرار المحمدية لسعوا في قتلي . فهذه المقالة وإن كانت قد تصدر من أصحاب الإلهام ، ولكن لم تبلغنا عن الشيخ رضى الله عنه إلا أنها وجدت منسوبة إليه فى بعض التقاييد التي هي بخط من لا يعرف منقولة عمن لا يعرف ، فهي من رواية هيان بن بيان .

ومن ذلك أنه قال : قيل لى : ياعبدي ، أطعنى بقلبك واشكرنى فى سرك وأبعد عنى وهمك . وهذه المقالة أيضا ليست من نفس الشيخ رضي الله عنه ولا عليها رونق كلامه ولم ينقلها لنا عنه أحد من خواص الطريقة من الاخوان ولا من عامتهم إلا عند بعض من يظن أن ذلك من الأسرار العالية من جهلة العامة فيها .

ومن ذلك أنه قال : قلت يارب : أيقنت وصدقت أنك ولي أوليائك ، وأيقنت أنك تكلمهم بغيوبك بكلامك القديم الذى هو صفة ذاتك لاخلق من خلقك . فهذه المقالة أيضاً من قبيل المتقولات عليه ، وقد زاد مختلقها من نوعها ما تشمئز منه النفوس وتقشعر منه الجلود ، فإنه قال :

قيل لي ياعبدي ، أفضل ما تقول فى هذا الزمان : لى رب كريم ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولا يعجزه شيء ، ولاتدركه الأشياء . وقال : كنت أفكر في

المصدقين والمكذبين ، فقيل لي : ياعبدى أنت ترى بساطى ، من أقبلت عليه صدق ومن أعرضت عنه كذب ، ياعبدي لو كانت الملائكة كتابا والبحار مداداً والأشجار أقلاما ، ما كتبوا من أحوالك السنية إلا كما يكتب الولد الصغير فى لوحه من المسطور ، ياعبدي ، أنا لك فى الدنيا والآخرة ياعبدي من كنت له لا يفوته شيء ، ياعبدى ، تنزه فى عجائب قدرتى وجمال ملكوتي وجلال ربوبيتى ، وتنزه في ألطافي ، وإكرامي وجودي وعظمتي وكبريائى ، ياعبدي أنت غوث فى الوجود ، ياعبدي ، أنت نور في الوجود ، الغبى من لم يعرفك والقصي من لم تأخذ بيده ، فوعزتى وجلالى ، وجودي وكرمي ، لأعظمنك يوم القيامة على جميع أوليائى . فهذه المقالة يحق لعن متقولها عليه ، وقد هالتنى ورب الكعبة أمر هذه المقالة ونحوها مما نسج على منوالها حتي عزمت علي أن لا أنقلها للطعن فيها ، وتبين أنها ليست كلام الشيخ رضي الله عنه ففي ذكرها شيوع ما ليس من كلامه ، لكن ما علينا إلا أن نصرح بتكذيب مختلقها ، ونذكر ما عثرنا عليه من المزيد فيها على وجه بيان الحق فى هذا المقام فقد نسب اليه المنتسب الجاني أنه قال :

قيل لى ياعبدي ، لولا قدرك في الأرض لخسفت ، ولولا طوافك بالبيت لاندك ياعبدى ، اخترتك بفضلي وخصصتك بسري : ياعبدي ، لايأتيك إلا من رضيته لنفسي ولايرغب عنك إلا جاهل غبى أعمي . فهذه المقالة أيضا مما تورث النفوس نفورا من قائلها ، ولايقبلها إلا جاهل بمقام الشيخ الذي لايصدر عنه مثلها ، فيتعين على كل أخ في الطريق ، ومن كل من منحه الله بالتوفيق تكذيب نسبتها للشيخ رضي الله عنه ، ولايتسارع بالطعن فيه والانتقاد عليه بمجرد نسبتها اليه إلا من له أغراض فى هتك الأعراض والله حسيبه .

ومن الطامات من هذه التقولات ، مانسب للشيخ رضى الله عنه أنه قال وحاشاه من هذا المقال : ياعبدي تاهت العقول فيما أعطيتك من سرى قد أفلح من صدقك وخاب وخسر من كذبك يخاف عليه أن يموت علي غير الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . ياعبدى ، تفكر فيما أعطيتك ومابقي لك أكبر وأعظم . ياعبدي ، من قبل قدميك بالمحبة والشوق ، قابلته بالفهم والذوق

عني . ياعبدي تنافست الأولياء فيما أعطيتهم ولا يبلغ أحد ما أعطيتك ومنحتك من كرامتي ، ياعبدي هذا منزل ومقام توهمت الأولياء أنها فيه ولا تدرك منه إلا المحافظة . فهذه المقالة أيضا من هذا النمط الذى يستحق به لعن مختلقة مع ما فى ضمنه من ركاكة التركيب ، ولم يصدر من الشيخ بلا شك لما على المطلع عليه إلا أن يبادر بنفيه عن هذا الجناب .

ومن هذا الباب مانسبه الجانى اليه أنه قال: قلت لربى: إلهي، خصصتنى بسرك ، ولولا فضلك وقوتك ما أطقته ، ولولا حلمك لهلكت بافشائه ، فقيل لي : الحكمة فى إفشائه ، أظهر قدرتى وعظمة جودى رغما على أنف المنكرين ، وبشارة لقلوب السالكين وأنسا لأرواح الواصلين .

وقال من ذلك : قيل لى ياعبدي ، قربتك مقاما تستحي منه ملائكتي فى حضرة قبضتى وجودى وسيد خلقي محمد صفوتى ، ياعبدي أنت الأول فى المشيئة ، وأنت الآخر فى المشيئة ، وأنت الظاهر فى المشيئة ، وأنت الباطن فى المشيئة ، سبقت مشيئتى بتخصيصك ، سبقت مشيئتي بتأخرك سبقت مشيئتي بظهورك للسعداء ، وسبقت مشيئتى بإخفائك عن الأشقياء . فهذه المقالة من نوع الكفريات لا أنها من التنويهات ، فلا أري هنا مختلقها إلا شيطانا مريدا بنسبتها للشيخ قدس سره ، فتح باب الطعن عليه ليجد المنكر فى هذه التقولات مجالا للقول ، وحق أن يعظم بمثل هذا الهول ، وحسبنا الله ونعم الوكيل من الجهل والعمي فى حق قائله أو قابله من متقوله .

ومن هذا الباب قول الجانى ناسبا للشيخ أنه قال :

قيل لى : ياعبدى أخرتك لآخر الزمان لتكون آخر أوليائي كما كان نبيي محمد خاتم أنبيائى ، ياعبدى ، من كذب بك فكأنما كذب برسالة الرسل كلهم ، ياعبدى ، استضاء نورك بنـــوري ، وعلمك بعلمى فقلت يارب ، وما علمى وماعلمك ؟ فقيل لى : علمك فهمك وعلمى مددى وإلهامي فقلت يارب وما نوري ونورك ؟ فقيل لى : نورك عقلك ، ونوري فتح بصيرتك للفهم عني .

وقال : قيل لى : إصبر لخلقي ، فإنهم لا يعرفون حق ولايتي ، ياعبدي كن بهم

حليما ، فإنك فى مقام الحلم الأكمل ، ياعبدى ، من أحبك أحببناه ، ومن أبغضك أبغضناه ، ياعبدى ، لايدخل الجنة أحد حتى تدخلها . فهذه المقالة أيضا ، من نمط ما تقدم ، وقد اتصلت بها مقالات لم أرد نقلها هنا لبشاعتها ولولا أن حاكى الكفر ليس بكافر ، ما حكيتها ، ولا كتبتها عندى فيما قبل وقد أحرقت الورقة المشتملة عليها ، ولكن أنقل هنا ماهو أهون ، وإن كان من الطامات المتقولة ، وهي من تتمة هذه المكالمات والمناجاة .

فقال الجاني مما نسبه للشيخ أنه قال: قلت يارب استحييت من أوليائك المتقدمين والمتأخرين أن أتقدم معهم فقيل لى: إن لم تقدر ، فأنا القادر ،تقدم بقدرتى ياعبدي من تجرد لك عن إرادته ، وأخلص محبته ، كسوته سبعين حلة من حلل الإيمان وذلك لعامة المريدين ، وأما غيرهم من أهل الخصوصية ، فمن تجرد لك منهم عن إرادته ساعة كسوته عشرة آلاف حلة من حلل الإيمان والمعرفة ، فطوبي للمريدين الذين لا يرون العطاء إلا منك ، يانعم الحبيب، الأولياء كلهم تحت قدميك. فهذه المقالة ، لم تصدر من الشيخ رضى الله عنه ، وهي من المتقولات إلا ما كان من الجملة الأخيرة ، التي هي : الأولياء تحت قدميك ، فنقل عنه بالمعنى ، كما هو مذكور فى الإفادة الأحمدية ، ونقله عنها مؤلفوا الطريقة ، ومثلها فى الرماح ، أما ما زاد على ذلك ، فهو كذب محض ، والله حسيب مختلقه .

وقال الجانى ناسبا للشيخ أنه قال: رأيت سيد الوجود ،صلى الله عليه وسلم فقال لى: ياحبيبي: أنا خير المرسلين ، وأنت خير الأولياء يانعم الحبيب ، لايحضرك إلا سعيد ولا يغيب عنك إلا شقي . فهذه الرؤيا ، لم ترد عن الشيخ رضى الله عنه بهذا اللفظ خصوصا قوله : ولا يغيب عنك إلا شقي ، فإنه ليس من الكلام الوارد عنه ، وإن كان ذلك فى رؤيا ، وعالم الرؤيا ، يحتاج فيه إلى تعبير ، إلا أن هذه الرؤيا ، لم ترد عنه ، وقد كان أشاع هذه القولة ، بعض المتظاهرين بالاطلاع على أسرار الطريقة فوقع بذلك ضجة بين الإخوان ، وانتقادات من غيرهم ، وذلك بسبب نسبة مالم يقله الشيخ رضى الله عنه ، واختلقه الجاني عليه ، حسيبه الله ، فقد نسب إليه أيضا أنه قال :

قيل لي، ياعبدي، تنزه في سماع خطابي فمن سمع خطابي هام في أنواري، ومن هام في أنواري رأي صفتي، ومن رأى صفتي رأى جلالي، ومن رأى جلالي رأى جمالي، ومن رأى جمالي رأي كمالي، ومن رأى كمالي غاب عن سواي ومن غاب عن سواي كنت له أنيسا . وقال :

قيل لي : ياعبدي، من غير قلبك بالإنكار، غيرت قلبه بالطرد والإدبار ياعبدي، تضرع إلى واطلبني، ولا تطلب غيري، فان استغنيت بغيري سقطت من عيني، ياعبدي، تفكر فيما أعطيتك ولا أحد يعرف ما عرفتك ياعبدي، أنا معك، ياعبدي، من كنت له لا يخاف غيري ولا يطلب غيري ياعبدي، إني فتحت لك، ياعبدي، إني غفرت لك، ياعبدي إني وهبت لك، ياعبدي، اشكر نعمتي عليك، ياعبدي، علمتك علما لا يحيط به غيرك، ياعبدي، الوجود كله في قبضتك، ياعبدي، من صدق بعلمك، كتبته من أهل الصدق والوفاء، ومن كذب بخصوصيتك، كتبته من أهل الكذب والجفاء، ياعبدي أنت الأعلى في العلوم، ياعبدي أنت في العلو . ثم ذكر الجاني هنا من هذا النمط شيئاً كثيراً من المفتريات التي تنزه قلمي عن ذكرها به في هذا التأليف الذي أعددناه لبيان وجه الحق، فكل هذه المكالمات والمناجاة والمخاطبات ترهات وافتراءات، لاصحة لها في نسبتها للشيخ رضى الله عنه وهي طويلة اخترت منها ما ذكرناه، ولم يروها أحد عن الشيخ، وقد لازمت جماعة من المفتوح عليهم في هذه الطريقة، وبالأخص مجمع العجائب من خزائن أسرارها، شيخنا العارف بالله سيدي ومولاى أحمد العبدلاوي، رضى الله عنه، وماسمعته يذكر شيئاً من هذه المناجاة والمكالمات، فما هي إلا من المختلقات، وقد تعين علينا التنبيه عليها بذكر ما ذكرناه منها، حتى لايغتر بها أحد، أو ينتقد منتقد علي الشيخ بها، مع أنها مكذوبة عليه، وهكذا الشأن فيما سنذكره داخل الكتاب، فما نذكره إلا لرده علي وجه مختلقه، ليكون الواقف على ذلك فيه على بصيرة من أمره، فإن كثيرا ممن عنده مثل هذه التقاييد المنطوية علي مثل هذه الخزعبلات، يزعم أنها من الأسرار العالية القدر والمقدار، ويراها من النخار ويستحسنها بعض من يميل إلى التبجج

بمثلها ، وغالب هذه التقولات إما من اختلاق المحب الجاهل أو المبغض الجاحد ، كما أشرنا إلى ذلك سابقا والله يدافع عن الذين آمنوا ، فليحذر المريد الصادق فى سلوك الطريقة ومن يريد السلامة لنفسه بين ذوي الحقيقة ، أن لايبادر بنسبة مثل هذه المقالات النادحة ، والتقولات الطائحة ، للشيخ رضى الله عنه ، بمجرد وقوفه عليها فى التقاييد التى لاصحة لها ، ولاينبغى لمنتقد ، أو منتقد ، أن يتسارع للإنكار على الشيخ ، أو على أهل طريقته بها أو مثلها بمجرد النسبة ، من غير صحتها لديه ، ولايناضل فيها من لاثبات لتقدمه في الطريق بين ذوى التحقيق ، فربما يعجز عن المدافعة ، أو يدافع عن شىء لا صحة له عن الشيخ ، فيجنى مع الجانى على نفسه مالا تحمد عقباه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

## الكلام على مبايعة الأولياء للشيخ رضى الله عنه

## وما تقوله المتقولون عليه في ذلك

لا ينكر العاقل أن يري الشخص فى مرائيه المنامية من الأمور العجيبة والأشياء الغريبة ، ويتصور فيها مالا يتصور أن يكون له فى عالم اليقظة ؛ حتي إنه يمكن أن يرى فيها المحال غير محال ، لاتساع المجال فيها فى دائرة الخيال ؛ فيجتمع فى حضراتها بأشخاص وأرواح ممن مضوا أو ممن سيوجدون وغير ذلك ويكون له ذلك علي حسب حاله من القوة الروحية في حين بعد حين ؛ ومنهم من يتمكن ذلك منه حتى يستوى عنده مايراه في المنام ، بما يراه فى اليقظة ، ومنهم من يداخله الشك فيما حصل له وما رآه ، هل كان فى رؤيا أو في يقظة ، ومنهم من يخاطب عوالم يصبح علي يقين من أمره فيما وقع له معهم فيها ومع ذلك فإنه يتمتع بما يشاهده في تلك المرائى ويصير منشرح الصدر بالبشرات التى حصلت له أو يغدو متكدرا بما شاهده فيها وما لاقاه فيها بحسب قابليته وصفاء مرآة رؤياه ، وحسب استعداده ، حتي يتنزل ذلك منزلة الواقع في اليقظة ، وقد اعتبر الشرع فى حق المحتلم ما أوجب عليه الغسل به ، ولولا أن عالم الرؤيا يتنزل مايقع فيه منزلة اليقظة ما وجب الغسل عليه فى فعله الصادر منه لأنه فى رؤيا ، ومنهم من يشاهد بين النوم

( ٢ ــ جناية المنتسب )

واليقظة ما يعبر عنه بالواقع ما يكون له فيه من اليقين مالا فرق فيه عنده بين ما يكون فى اليقظة ، وقد يزيد به الحال حتي يصير يرى فى الشهادة ما يراه غيره فى المنام ، وفى هذا المقام تتفاوت المشاهدات ويظهر ما يكون من الكرامات ، فيكون للمتمكن فيه أحوال بحيث يكون فى بعضها غائبا عن أحواله فى الإخبار بها وأنها وقعت حقيقة ويقول ما لايقبله عقل القاصرين ويتسارع إلى انتقاده الضعفاء من المنكرين وأقل ما يوردونه أن المخبر بما شاهده كان في فسحة من كتمان ما رآه مما لم ينضبط به حال نفسه هل حصل له ذلك يقظة أو مناما ، ولم يدر هؤلاء المنتقدون أن المحصل علي ذلك له مقاصد تخفي عن أمثالهم فكان من حقهم ترك الانتقاد إلا فى ما كان مضاد ما لقاعدة من قواعد الدين ، أو كان من باب إنكار المحسوس ويكاد أن يدخل به الشك في اليقين ، فهو غير مقبول من صاحبه ، فلذلك لاينبغى المسارعة للإنكار علي من أخبر بما شاهده من العجائب فى رؤيا ولو أخبر بالمحال فيها لأن عالم المرائى متسع الدائرة والمشاهد التي تشاهد فيها هي من قبيل العالم الروحانى الذي يظهر فى العلم المحسوس من عالم الآخرة فلا تعد من خوارق العادة كما يعلم ذلك من نفسه كل واحد منا بما اعتاده من ذلك من الأمور المعتادة ، فإذا أخبر مخبر بأنه شاهد العوالم إنسها وجنها وكل حيوان وجماد وغير ذلك قامت فى صعيد واحد مصطفة وبايعت فلانا وسمي شخصا بعينه مبايعة روحانية كما سمي الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة فى بعض مشاهده مبايعة الأرواح للشيخ رضي الله عنه فإن ذلك لاينكر ، وليس بمنكر أن يري ذلك فى عالم الرؤيا المنامية والوقائع المرقائية فى المشاهد العيانية الروحانية ، وإنما الأمر الذي يستحق أن ينكر ولا يقبل حين يذكر ما تقوله بعض المتقولين فى هذه الطريقة الأحمدية . وهو من التهور الذى لايقبله إلا سخفة العقول ممن يقصدون بين الإخوان التصدر فيدعون الخصوصيه باطلاعهم علي أسرار الطريق ويجعلون هذا من ذلك .

والعجب كل العجب ممن ينتسبون للعلم ويعتقدون صحة مثل هذه التقولات التي هي من قبيل الترهات والخزعبلات ، ولقد كنت عزمت على ترك التعرض لجملة منها قد أوقفني عليها محبنا المقدم السيد بلعيد الحمرى من القبائل الحوزية المراكشية وهو من

الجوالين المستطلعين على الأسرار والتقاطها ، بشد الرحلة إلى شاسع الأقطار ، فكان من الأمور المدخرة لديه من ذلك ما أنقله هنا عنه بعد أن أبنت له فيه كونه من التقولات التي لاينبغي السكوت عنها ، ولعنة الله على واضعه .

ونص مانقلته عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب المكتوم فقد أحبني ومن أبغض المكتوم فقد أبغضني . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من تكلم بكلام السوء فى المكتوم يموت كافرا إلا إذا تاب ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : معرفة المكتوم أصعب من معرفة النبى صلى الله عليه وسلم لأن النبى مشهور والمكتوم لايعرفه أحد حتى العارفون بالله ، وقال عثمان رضي الله عنه : لايطلع أحد على مرتبة المكتوم حتي الملائكة . وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المكتوم واسمه واسم بلده فقال لي عليه السلام اسمه أحمد وكنيته التجانى ويكون من ذريتك فى آخر الزمان وتبرز ذاته على ذوات الأولياء كما تبرز ذاتي على ذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقال أويس القرنى رضي الله عنه : إذا سألت عن النافع المانع الذى كانت وسيلته من النبى الشافع فهو المكتوم أبو العباس التجانى رضي الله عنه ، وقال محيي الدين بن العربي الحاتمى رضي الله عنه ، تعجب الأولياء من مرتبة المكتوم أبي العباس التجاني رضى الله عنه وبعد ذلك جلت ببصيرتي فى الغيوب زمانا طويلا ولم نطلع عليه وعلى اسمه واسم بلده ومكانه وأصحابه ، ولقد طالما نظرت ولم يطلعني الله على شيء منه ولا شممت رائحته أصلا فعند ذلك سلمت الأمور لخالقها ، وقال الشيخ أبو الوفاء البغدادي رضى الله عنه بحران لايطلع عليهما أحد ، الأول : بحر النبى صلي الله عليه وسلم لايطلع عليه أحد إلا الله تعالى ، والثاني بحر المكتوم لايطلع عليه إلا النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه لاترفعوا مقامي فوق مقام المكتوم لايشرب ولى ولايسقي إلا من بحره ، واشتقت إلى نظرة مرتبته فوجدتها محجوبة على جميع الأولياء ، وقال سيدي محمد البكري رضي الله عنه ماخلق الله فى الرجال إلا من يأتى بخير منهم أو بمثلهم إلا المكتوم أبا العباس التجاني رضي الله عنه لايأتى بخير منه أو بمثله ، وقال مولانا عبد السلام بن مشيش

رضى الله عنه ، يأتي في آخر الزمان رجل يقال له المكتوم من كان كارها لتوابعه يموت كافراً إلا إذا تاب . وقال الإمام المكاوي رضى الله عنه سجدت أنوار الأولياء لنور المكتوم كما سجدت أنوار الأنبياء والرسل لنور النبي صلى الله عليه وسلم وقال سيدى علال بن أحمد مولى صرصر المغربى رضى الله عنه لو طال عمري لكنت مريدا للمكتوم فى آخر الزمان أبى العباس التجاني رضى الله عنه ، وقال سيدى عبد الرحمن الثعالبى رضى الله عنه فضائل أصحابه كفضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الحاضرين أخبرنا عليه ولا تسكت ، فقال لهم كنيته المكتوم واسمه مشهور أحمد بن محمد التجاني ، وقال مولاى التهامي الوزانى رضى الله عنه بيت الحرام يطوف بدارنا سبعين مرة فى العام لكن بأمر قضية المكتوم أبى العباس التجاني رضي الله عنه ولا يكون الجحود لمن عظمه الله .

قلت : إلى هنا نقف وقفة استراحة بتنفس الصعداء من الزيادة من هذه الخزعبلات التي لا أصل لها مع ما فى عبارة منقولها من الركاكة والبشاعة فى النطق بذلك بالتجرىء الفادح بذكر ما ذكره هنا بصفة أحاديث وآثار وأخبار بعض الرجال من الأولياء الذين سماهم هنا وجميع مانسبه لهم كله غير معروف عنهم ولا نقله أحد عنهم ممن ألفوا في مناقبهم وكأني بمن سود صحيفته بما نقلناه هنا من المبغضين فى جانب الطريقة التجانية فتقول ما ذكره عمن ذكر ليتداول ذلك جهال الإخوان فى هذه الطريقة وينقله عنهم أمثالهم فيحصل التنكير كما حصل بمقالات نسبت للشيخ رضى الله عنه بذكرها مجردة عن الموضوع الذى ذكرت فيه من المبشرات المنامية والمشاهد الروحانية ونحو ذلك مما لم تؤده عبارة من سمع ذلك وإذا وقع التقول على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى خلفائه رضوان الله عليهم وعلى الأولياء بمثل ما ذكر فلا يليق بمن يبلغه هذه التقولات أن يتسارع إلى الإنكار عمن نسبت له أو ذكرت فى حقه من المناقب وهي فى الحقيقة مثالب فالأولي طرحها من وراء وعدم الالتفات اليها بحال وتنبيه من يتحدث بها أنها لا أصل لها والله حسيب من تقولها من المبغضين كان أو ممن يزعم أنه من الأحباب وهو سبحانه متولى الانتقام منه فى يوم الجزاء والحساب فليتحقق بهذا المنصفون وليس على المحقين شيء فيما يشيعه المرجفون

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فهذا مقالى وهو لاشك واضح وليس على من بين الحق من عذل
ومن عرف الحق الذى قد عرفته وعاند فيه فهو لاشك ذو جهل
وذو الجهل مردود عليه كلامه إذا لم يوافقه عليه ذووا الفضل

الكلام على مانقــوله على الشيخ رضي الله عنه بعض المتنطعين من قوله : لا يكمل الإيمان إلا بالتقيد بالطريقة التجانية ومن لم يكن تجانيا لا يعد من المسلمين .

قد بلغنا أن بعض من يدعى الخصوصية لنفسه بين إخوانه من هذه الطريقة الأحمدية، الذين استولى عليهم بتظاهره بأنه ممن يستحق أن يعظم، وأنه عنده الاسم الأعظم وأنه وأنه فيكبر بين أعينهم أمره لجهل جلهم وهم من عامة الطريق، ولكون المحبة تعمى وتصم، فيقع الإغضاء عنه فيما هو بالانتقاد خليق، يدعي هذه الخصوصية وأكثر منها، وأمثاله كثيرون لاتساع الطريق وانتشارها، فينسبون للشيخ رضي الله عنه ما ينسبونه مما هو متقول عليه منهم ،لاستهواء قلوب عامة الإخوان وغيرهم من غير التفات لما وراء ذلك من إيقاد نار الإنكار بتشويش اعتقاد الأفكار وماينبنى على ذلك من المفاسد بين الأخيار والأشرار حيث أشاعوا أن الشيخ رضى الله عنه يقول : لايصح الإيمان إلا بالتقيد بالطريقة التجانية ومن لم يكن تجانيا لا يعد من المسلمين . اللهم إنا نتبرأ اليك من هذه القولة ، وأنها لا يمكن أن تصدر من بعض المريدين المتوغلين فى هذه الطريقة المحمدية، وصدور مثل هذه المقالة إنما هو عن جهل وغير تبصرة وعدم معرفة بما هي عليه الطريقة ، وما أسست عليه في السلوك فيها على المنهج القويم من المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، فإن الجهل مع الغلو في الدين وحب التصدر فى منصب الإرشاد ونحو ذلك مما يفضى إلى القول بأكثر من هذا . وقد كثر الجهل وعمت المصيبة به واتسعت هذه الطريقة إلى حد يسع الداخلين فيها بما هم عليه من أحوال واضطراب أقوال واختلاف أعمال ودعاو عريضة من جل الجهلة فيها وتصدر بعض المقدمين وهم جهال بما هى عليه الطريقة الحقيقية فقاموا بتلقين الأذكار الزائدة على الورد اللازم فيها للمريد ،وحببوا له فى المزيد من ذلك

بذكر فضائل لا أصل لها ولم يخل مجلس اجتمع فيه جماعة منهم من التحدث بالكرامات المختلقة والتصرفات المختلفة والخصائص الكبرى المنتحلة وما هو من هذا القبيل ولم ينج من مثل هذا إلا من أخذ الله بيده منهم ولا يبعد أن يصدر هذا من بعض أهل البغض في الطريقة بتقول منه فيهـــا ليوحى بذلك إلى الشياطين أمثاله الذين يشيعون مثل ذلك وإن الشياطين ليوحي بعضهم إلي بعض زخرف القول غرورا ويقصدون بذلك إيقاد نار الفتنة في الطريقة وغيرها مع كون الشيخ رضى الله عنه برىء من ذلك التقول الذي لا يقول به مؤمن فيتعين علي كل مريد تجاني أن لا يقبل من أحد التقول علي الشيخ رضى الله عنه بمثل هذه المقالة الشنيعة .

وقد كنت تعرضت لذلك في نصيحة الاخوان فقلت منها هذه الأبيات :

ألا لعنـة الله العظيم على الذى ... افترى مثل هذا القول فى طول أزمان
فقال بأن الشيخ قال طريقه ... بها يكمل الإيمان في أهل إيمان
وقال بأن المرء ليس بمسلم ... إذا لم يلقن ورده بين الاخوان
لعمركم أن التجانى لم يقل ... مقالة هذا القائل المفترى الشاني
ولاشك أن المسلمين جميعهم ... يقولون ماهذا المقال لتيجاني
وقد برهن الإنصاف أن طريقه ... منزهة عمـا له نسب الجاني
ولـكن عين البغض تنظر للقذى ... وتطبقها أطباق جلمود عميان
فإن لم يكن عن فرط جهل مركب ... فذاك جحود وهو يفضي لخسران
أما كان من حق البغيض وحزبه ... تباعدهم عن بعض أصحاب عرفان
ولـكن فضول منهم وجراءة ... تجر لهم سوء علي طول الأحيان
فياويلهم ممـا يلاقونه غدا ... ويلقون قبل الموت أعظم إيهان

ولقد جمعتنى المقادير في بعض المحافل التى حضرها بعض المحدثين بجماعة من الإخوان لم يجد سبيلا للإنكار عليهم ذلك الفتان وقد تظاهر بأنه من حزبهم وأنه تجانى ليستهوى بما يقوله قلوب من حضر ويستلفت إلى ما يقرره لمن إليه نظر من المنتقدين علي المريدين الذين هم علي فترة في الاعتقاد وهم علي الفطرة التي خلقوا عليها من غير تفطنهم لما يقصده أهل الانتقاد فقال وهو يخادع لهم إن شيخنا الختم التجانى يقول كذا ويقول كذا وأطال القول في تقرير مقالات مكذوبة وهي من عنده بلا شك وجعلها للشيخ منسوبة وقرر بأنها من الكرامات

والفضائل والأسرار المكتومة ثم التفت إلي وهو يقول لهم وهذا سيدى فلان يعرب لكم من حقيقة ما قلته لكم من هذه الفضائل العالية ، فهي عنده بلا شك من الذخائر المدعة المثل العظيمة الفضل ، فأقبلوا علي مستبشرين فرحين بما سنقرره لهم تأييدا لمقاله فقلت له اتق الله فإن الأمر جد لا هزل فيه ، واشتغل بما يعنيك ودع عنك الخوض في مثل هذه الأمور التى لا تجدي نفعا للمعتقد ، ولا للمنتقد فليست هذه التقولات من الطريقة فى شيء. والشيخ التجانى رضى الله عنه مع أصحابه يتبرءون من مثل هذا الإفك العظيم ، فلعنة الله علي مختلقها أين ما كان من الاخوان وغير الاخوان .

فلما سمع مني ذلك سقط مافي يده وافتضح أمره بين الحاضرين من إخوانه الذين كانوا عارفين بمقصده عازمين علي الطعن فى الطريق بذلك ، فلم يتم لهم مادبروه بليل وما حصلوا إلا على الخزى والويل ولم يفده إلا أن يتنصل مما تقوله علي الطريق وأنه إنما حكي مابلغه وهو من أهل التصديق . ولاشك أننا لو سكتنا عنه ، لصال بصولته وأيده أقرانه في قولته ولنقلت أقواله بل تقولاته بين الحاضرين للغائبين وانتشرت مع ماهي عليه من المنكر القادح فتعد من فضائل الطريقة وهي فى الحقيقة من التقولات المكذوبة

وهكذا الشأن فى غالب مايذكر من هذه الترهات ، التي هي ليست من الطريقة وقد تقرر بحمدالله أن طريقة الشيخ رضى الله عنه ، عالية المدرك سهلة المسلك لا يحتاج في التنويه بها بمثل هذه الخزعبلات الغير المقبولة شرعا ، فالإعراض عن ذكر مثلها وعدم قبوله من شيمة الصادقين فى سلوك الطريق ، وبيد الله سبحانه التوفيق .

الكلام علي ما أشاعه بعض المتنطعين فى الدين من كون المتقلد بعهد الطريقة التجانية تباح له المعاصي بمجرد الدخول في زمرة أهلها بتلقي الإذن فيها من المقدمين .

لقد تقدم لنا من قبيل ما هو مذكور في هذه الترجمة مما لا صحة له من مثل هذه التقولات الشنيعة وهذه المقالات الفظيعة لا عبرة بها فلقد تقول أصحاب الأراجيف بعض الأقاويل المردودة عليهم ، وأقبحها ما تعرضنا له هنا من أن الطريقة التجانية تبيح للمتقلد بعهدها المعاصي ، وله أن يفعل ماشاء من المناكر لكون ذنوبه

مغفورة وعيوبه في الآخرة مستورة وهو مضمون من المحاسبة لا تلحقه معاقبة، ونحو هذا مما تحقق به القائل به من أنه من الإباحيين الضالين المضلين أو أنه من المبغضين لجانب الشيخ رضى الله عنه ولطريقه المحمدي، فأشاع هذه المقالة ليتلقاها عن متقولها عليه أهل الإنكار، فيخوضون في ذلك بما تعودوه من تلطيخ هذه الطريقة بأن السالكين على نهجها أصحاب أهواء فينفر من الدخول فى حريمهم من يريد التقيد بحبلها في منهج الاهتداء، والله حسيبهم فيما تقولوه:

وقد تعرضت لهذه المسئلة في نصيحة الإخوان فقلت فيها.

إلى الله أشكو من أناس تنطعوا . وصالوا على هذى الطريق بعصيان
فقالوا مقالا فى الطريق مفندا . ليؤذوا مريديها بسر وإعلان
يقولون: قال الشيخ من حاز ورده . باذن فلا يخشى موارد عصيان
ليفعل مايهوى ولايختشي الردي . ويجتنب التقوى لأنه نجاني
فوالله لايجري على فكر عاقل . قبول كلام مثل هذا من الجاني
جنى مابه قد رام تشويه هذه . الطريق جزاه الله أعظم حرمان
وهذى الطريق من شروط سلوكها . ملازمة التقوي على قدر إمكان
ومن لم يكن مستمسكا بشريعة . فأوراده لاشك أوراد شيطان
ومن رام تضليل التجانى وصحبه . بما قاله الأعداء باء بخسران

فإن العاقل لايحدث بكل ماسمع خصوصا فيما لايصدر من متدين فأحرى من الخاصة إلا بعد تحقق القول لديه بصدوره من قائله ويرى من قرائن الأحوال أن مثل ذلك يصدر من المنسوب اليه فبالعقل المنور يتوصل صاحبه إلي الحكم بأن مثل هذه المقالة لايصدر من شيخ هذه الطريقة المحمدية الذى تقول المتقولون عليه ماليس بمقبول شرعا لأن جلالته العلمية تقضي بأن لايقول علي الله إلا الحق ولاشك أن مكانة الرجل الصالح من الدين الذى هو قائم به فى خاصة نفسه ويدعو غيره اليه لاتنزل من أعلاها إلى الحضيض الأسفل من قلة الدين بنسبة قول ساقط إليه لايقول به عاقل فضلا عن ولي كامل فالتقولات علي الشيوخ ظاهرة البطلان وعلي فرض صدور ماينكر من أحدهم وهم غير معصومين فاللائق بجنابهم تأويل ذلك بما يليق بهم مما لو استفهموا عنه

وكانوا حاضرين لم يقولوا إلا به أو بما هو مؤيد بالمعقول والمنقول ، ولهذا يتعين علي كل مؤمن أن لا يقبل هذه القولة المقولة هنا من إباحة المعاصي للمتقلد بعهد هذه الطريقة مع كون الأهم من شروطها ، القيام بالمأمورات بقدر ما في طاقة المريد على الوجه الأتم خصوصا إقامة الصلوات التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، مع اجتناب المنكرات بقدر الإمكان ، كما هو مقرر معروف عند سائر الإخوان في سائر البلدان وهو وإن جهل أحوالهم مبغضهم أو تجاهلها أو زاحمهم مزاحم من أهل الأغراض في سلوك الطريقة فمكانتهم من القيام بشعائر الدين ظاهرة للعيان والمنكر عليهم فى مثل ما هم مجتهدون فيه من الطاعة وكثرة الأذكار والصلاة على النبى المختار صلى الله عليه وسلم أعمى ، أعماله مخدوشة ، نسأل الله العفو والعافية من الخذلان وسوء الانتقاد والتقول علي أهل الله ما هم برءاء منه في السر والإعلان وحسبنا الله ونعم الوكيل .

## الكلام علي المتصدرين فى الزوايا وما ينشأ عن بعضهم من التقولات والتنافس فيما بينهم مما يوجب النكير على أهل الطريقة وغير ذلك من المفاسد التي تترتب على ذلك

إعلم أن تأسيس الزوايا عند الصوفيه من الأمر المحمود ليتفرغ المريدون فيها لعبادة الله وطاعته بما فرضه الله عليهم والقيام بما وظفه الشيوخ المنسوبة اليهم على أصحابهم الآخذين عنهم مشافهة أو بواسطة على وفق ما يرونه مصلحا لأحوالهم الدينية وما يؤول إلى ذلك في شئونهم الدنيوية وحيث كانت الزوايا محلا للأذكار والعبادة تعين في غالبها أن يكون مكلفا بشئونها بعض القيمين الدينيين من حارس ومؤذن ونحوهما من إمام وغيره وعلى هذا المهيع جري العمل في الزوايا التجانية في جل النواحي وأمرها فى ذلك قائم بالله والمدار فيما قام به القيمون فيها على أم الزوايا المباركة التى هي بحومة البليدة من مدينة فاس التى أهلها أسوة لغيرهم من الاخوان في الطريقة ، لأنهم فى الغالب هم المحافظون على ما كان عليه الشيخ رضى الله عنه وتبعه في الاقتداء به أصحابه ، الذين ورثهم في الاهتداء جل الإخوان من أبنائهم وأحفادهم

فكانوا ولا زالوا قائمين بما تركهم الشيخ رضى الله عنه عليه ونسلهم لا زال إلى الآن بها وبعد اتساع الزاوية وانتشار الطريقة مع دخول الناس فيها من كل طريق أفواجا أفواجا وتعددت الزوايا داخل فاس وخارجها تصدر في كل زاوية للقيام بالمهمات فيها من وفقه الله للخير من مقدم وإمام ومدرس ومؤذن وبواب وحارس ومكلف بنشر الإزار وقائم بالتنظيف، وغيرهم ممن لهم بذلك كبير مزية ومزيد اعتناء على مطلق من يقوم فيها بالذكر وغيره من أنواع القربات، غير أن بعض هؤلاء الموظفين بأنفسهم إن لم نقل جلهم وغيرهم من الجالسين فى الزاوية، ممن لا شغل لهم يشغلهم عن الطمع فى الزائرين قد تصدر منهم أمور، يجد المتقولون بها مجالا للطعن فيهم وفي الطريقة لتلطيخهم جدران ساحتها النقية بما هم عليه من السيرة التى لم يجدوا ناهيا عن التعلق بأذيال الناس. والعذر للمتقدمين عليهم فى ذلك ما يرونه من بعض المقدمين في الزوايا وغيرهم ممن يشار لهم بالخصوصية فيها من استخدامهم للمريدين والتأمر عليهم بما لا ينبغى معاملتهم به، مع ما يصدر من بعض المتصدرين من التظاهر بالكبرياء خصوصا من كان إماما أو مدرسا فى الزاوية التي لاحظه السعد بالقيام فيها بهذه الوظيفة، فتراه يتقدم للمحراب للصلاة بالفقراء فى نخنخة، وربما استولى عليه الوهم في التقدم عليهم في ذلك، فلا يحب أن يزاحمه في الصلاة بهم في المحراب سواه ولا يسمح لغيره بالتقدم للصلاة فيه بهم ولو تأخر الوقت في انتظاره حتى كأنه اشترى المحراب بما لا يمكن لغيره أن يتقدم عليه فيه، ومع ذلك تجد بعضهم ينظر للمصلين وراءه كأنه هو الذى يدخلهم الجنة فيكلفهم بأمور، ويتشوف لمعاملته بالتعظيم فوق ما يستحقه بين ذوى الصدور ولا تسأل عن الحال الذى يعتري المكلف بنفسه مفتتح الوظيفة أو ذكر يوم الجمعة والحال الذي يعتريه عند ختم ذلك بالفاتحة فويل ثم ويل عنده لمن سبقه لذلك، والأخذ عليه في نفسه كما شوهد ذلك من بعضهم وأما من كان مدرسا في تلك الزوايا، فهو إن كان من أهل الاعتبار بين عامة الإخوان فيها، فهو بين أبناء جنسه بالمنزلة التى تقضي عليه بالرضى عن نفسه، فيأخذ بنفسه على من لم يقم بتقبيل طرفه أو يده والتبرك به باستدعائه الاحتفالات التي يقيمها الإخوان في مساكنهم أو نزهاتهم، ومثله الموظف فى وظيفة مما ذكرناه في الزاوية إلا القليل منهم من الموفقين

الذين لا كلام معهم في هذه الأمور، التي يعرفون أنها تصدر من أمثالهم في وظائفهم وقد نبهنا على هذه لينكف من يصدر منه ذلك من المتصدرين لهذه الخصال، التي يحمدون فيها أو يذمون، خصوصا طلبة العلم ممن تصدروا للتعليم في الزوايا فهم يحتاجون إلى مزيد اعتناء بتأديب أنفسهم وتهذيبها في حضرة الإخوان خصوصا، بالزاوية التي بها الشيخ رضي الله عنه، أو من خاصة أهل طريقته.

ولقد كان العارفون بجلالة منصب الشيخ رضى الله عنه من علماء الإخوان، لا يتجاسرون على التدريس بالزاوية إلا من كان راسخ القدم في احترام الشيخ رضي الله عنه بمراعاة الأدب معه ومع أهل الطلب.

وقد بلغني عن الشريف العلامة سيدي عبد العظيم العلمى وهو من خواص أصحاب الشيخ رضى الله عنه الذين لازموه قيد حياته وأمره الشيخ بتعليم أولاده سيدي محمد الكبير وسيدى محمد الحبيب رحم الله الجميع وأذن له فى التدريس بالزاوية، الشريفة فكان قائما بهذه المأمورية أتم قيام قيد حياة الشيخ وبعدها فحصل له مرة حال، فقام من مجلس درسه وخرج من الزاوية مسرعا وأقسم إيمانا مغلظة أنه لا يعود للتدريس بالزاوية لأمر عظيم شاهده من الشيخ رضى الله عنه فقد رآه متوجها اليه من قبره وهو يوبخه على ما هو فيه من التصدر فى المحراب للتدريس بالفخفخة التي تعترى غالب المدرسين، فخرج من الزاوية فارا بنفسه ولزم الأدب المتعين على كل مدرس مراعاته مع الشيخ رضي الله عنه بحيث لا يرى فى نفسه لتعليم الإخوان مزية عليهم ولا تتحرك منه شعرة فى مؤاخذة من لم يحضر مجلس درسه أو اعترض عليه في مسألة قررها سواء أخطأ فى ذلك أو أصاب فيعد نفسه غير عالم فى وسط إخوانه، لا يستحق من بينهم ما يتميز به عن غيره من تعظيم واحترام وتبجيل وإكرام، ولا يرى لنفسه مزية فى تدريسه ولا يتشوف بذلك للتقدم عليهم ولا يحقد على غيره ممن زاحمه فى التدريس أو الإمامة للصلاة أو افتتاح الوظيفة واختتامها مثلا، مما هو متوظف بنفسه فى الزاوية أو قدمه لذلك إخوانه أو أولاد الشيخ رضى الله عنه وعنهم، فهو مع غيره فى ذلك على حد السواء. فإذا شم من نفسه حقدا على من قام بمثل ما هو قائم به فيها، كان على خطر عظيم إن لم يخرج من هذا الأمر بسلام لسكون النفس، تستولى على أصحاب هذه المناصب الدينية أكثر من

استحواذها على غيرهم فتحصل العــداوة والبغضاء فيما بينهم من المزاحمة فى ذلك، ولا سيما من تحزب له منهم أحزاب استمالهم بما استولى عليهم به. فإن باب التنافر بالتنافس ونحو ذلك مفتوح بينهم جلس اللعــين فيه، يوقد الفتن وينشرح صدره بما يراه من إصابة جلهم بالمحق.

وقد تذكرت فى هذا المحل ماوقع لشيخنا العارف بالله سيدى ومولاي أحمد العبدلاوى رضى الله عنه، حين اجتمع بباب محراب الزاوية جمع من أعلام الطريقة مع من حضر من الإخوان لسرد كتاب جواهر المعاني. وكان صاحب الصدر فى المحراب شيخنا أبو الفتح سيدي الحاج محمد كنون، وكان هو المدرس بها فى ذلك الحين ولا يزاحمه أحد فى التدريس بالمحراب والصلاة به وهو حاضر وله التصدر على غيره مع غيرة كبيرة فيه على منصبه رحمه الله وهو مستحق لذلك بما منحه الله من سعة الإطلاع والحفظ الذي يبهر فى الإملاء وتقريراته التي انفرد بها.

ثم إنه فى بعض الأيام التي نحضر لسرد الكتاب المذكور فيها فى الوقت المعين مع الجمع الذى يتنافس فيه كل واحد منهم فى الحضور وكان الفقيه المذكور مبتهجا بالصدر فى الوسط بينهم وظهر له أن يقرر فى كلام الشيخ رضى الله عنه تقريرا يناسب الموضوع وأطال النفس فى ذلك بما جال فيه مجال التحقيق الذى يشم منه رائحة التوفق بل التفوق على الحاضرين فالتفت اليه شيخنا العبدلاوي المذكور وقال له إن كلام الشيخ رضى الله عنه أعلي نفسا مما أنت تقرره به ولا يفهم كلام الشيخ إلا العلماء وأنت لست بعالم فلما سمع منه قوله أنت لست بعالم تبدلت أحواله ولم يملك نفسه فى ذلك المجمع فى مقابلته بكلام بالغ فيه من تنقيصه وتجهيله فلم يتأثر شيخنا العبدلاوي بشيء مما قاله إلا أنه قال له مما يدل على أنك لست بعالم ماصدر منك الآن وأنت فى مقابلة ضريح الشيخ رضي الله عنه بمرأى منه ومسمع ثم تفرق الجمع وتحزب جمع ممن كانوا ملازمين للفقيه المذكور على شيخنا العبدلاوى المذكور حتى وقع ماوقع بينهم من النفور منه وبغضه وإطلاق الألسنة فيه وهو رضي الله عنه غير متأثر بشيء من ذلك حتى ظهرت لهم كرامته بما وقع لكل من آذاه منهم ورأوا ما رأوه مما أدى ببعضهم إلى التعلق على عتبته فى طلب المسامحة منه فيما صدر منهم وقد سامح رضي الله عنه لجماعة منهم بعدما أصيب جل المتحزبين عليه منهم بمصائب لاقبل لهم بها

وممن كان تداخل في قضيته من علماء الطريقة الذين كانوا يحضرون لسرد ما ذكر الفقيه المدرس الأديب سيدي علال بن شقرون فإنه بعد تلك الواقعة التي انتصر فيها للفقيه المذكور مرض مرض موته وعاده في مرضه جميع من كان يعرفه بما داخلهم من الشفقة عليه ولا علم لشيخنا العبدلاوي بمرضه ولما طال المرض بالفقيه المذكور واشتد به المرض أخبر أحبابه بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قائلا له إنك آذيتني في العبدلاوي وطلب منهم أن يستعطفوه للحضور لديه ليطلب منه المسامحة ووجه له كتاب جواهر المعاني مداخلا عليه به ليعوده.

فحضر رضى الله عنه لديه فكاد الفقيه المذكور أن يطير فرحا بزيارته له وعيادته وصار يتمرغ بين يديه استعطافا لخاطره وطلب منه المسامحة وأخبره بما خاطبه به في شأنه صلى الله عليه وسلم فأخذه حال وقال إني سامحتك لوجهه صلى الله عليه وسلم وخرج من عنده منشرح الصدر بتلك البشارة التي تحقق بها في عالم سره أنه على صواب فيما قاله من تلك المقالة وحصل للفقيه ابن شقرون المذكور اطمئنان كبير بعد ما كان في جزع مفرط وبعد ذلك بيسير توفي رحمة الله عليه وأشاع أحبابه تلك الرؤيا وتراجع كل من كان جادا في إذاية شيخنا العبدلاوي رضى الله عنه وحصل لفقيه الزاوية أبي الفتح كون جزع بما ألم به من السقم الذي لم يجد له معالجا، مع مابلغه من مقالة الرسول صلى الله عليه وسلم للفقيه المذكور، فصار يستعمل الوسائل في استجلاب خاطره اليه بما أمكنه ويتخذ الوسائط في مسامحته فقال لهم أما أنا فقد سامحته إلا في مقالة واحدة وهي قوله إني جاسوس النصاري، فهذه لامسامحة فيها لأني كما يعلم الله قد هاجرت من بلدي لمجاورة الشيخ رضي الله عنه، وقد رماني بهذه المقالة ولا ينبغي مسامحته فيها. ولم يجد الفقيه المذكور إلى الاجتماع به من سبيل لكونه قد ازداد به الحال لا يقدر أن يقوم من الفراش من الوهن الذي أصابه.

فمن أصحابه المتحزبين له من كان يقول إن الفتح هجم عليه فلازم به محله ومنهم من كان يقول إن العبدلاوى قد تصرف فيه فأصابه ما أصاب مثله.

وبعد ذلك بأيام قلائل توفى الفقيه المذكور غفر الله لنا وله وتفرق جمع المتحزبين في جانبه

ولولا التحزب للمسيطر في الزوايا بما يقومون به من الوظيف الذى يرون أنفسهم به أهلا للتقدم على غيرهم لما كان يصدر مثل هذه المقاطعة بالتباغض إنتصارا للنفس الأمارة وقد كان قصد شيخنا العبدلاوي رضي الله عنه تربية الفقيه المذكور بانتشاله من الحظوظ النفسانية ليخرج من المقام الذي قام فيه بالتصدر في وسط الجمع قبالة ضريح الشيخ رضي الله عنـــه ولـكن قضي الله أن يكون بخلاف المقصود ماجرى ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ولقد تذكرت بهذه القضية ماوقع للشيخ رضي الله عنه بمجلس السلطان المولي سليمان في درس التفسير الذى كان يحضره باستدعاء من الحضرة السليمانية وكان النصاب سورة الناس فتكلم الشيخ الطيب ابن كيران رحمه الله علي عادته فى ذلك المجلس بما جال فيه جولة تحقيق وتـكلم الشيخ رضي الله عنه بما بهر الحاضرين فثار من ذلك الشيخ الطيب ابن كيران وأراد الاعتراض على الشيخ وقال إن هذا كلام لم يقله أحد فقال له الشيخ رضى الله عنه هبه أنه لم يقله أحـد فإن القرآن والحديث وإجماع علماء الظاهر والباطن يؤيده وأملي الشيخ من الأدلة ماظهرت به جلالته في العلم ورسوخ القدم فى المعرفة بالله فلم يزد الشيخ الطيب علي قوله إن هذا لم يقله أحد فقال له الشيخ رضي الله عنه لاتـكن كحمار الرحي ما حملوك تحمله وأن أبيت إلا أن تعرف من يقول مثل ماقلناه فقد قال به فلان أحد المفسرين الـكبار فى آية كذا وقد بلغنى أن هذا التفسير هو تفسير الخازن المشهور فاستحضر السلطان ذلك التفسير فوجدوا ما أخبر به الشيخ رضي الله عنه مبسوطا فأمر ذلك في نفسه الشيخ الطيب وداخله مايداخل المنتصرين لأنفسهم وقد خانتهم الحجة ولم يزل يستفحل الأمر إلى أن تجاهر للشيخ بالعداوة ولم يجد سبيلا لإذايته ومن ذلك الوقت صار العلماء الذين حضروا الواقعة يتسارعون للأخذ عن الشيخ رضي الله عنه .

وقد بلغنى أن السلطان المذكور سألهم يوما عن الشيخ في غيبته فقالوا له أما علم الظاهر فقد عرفناه وقد بلغ فيه الدرجة القصوي وأما الباطن فهو فيه آية كبري وعلي كلامه صولة تستولى علي قلوب الجلة وقـد أخذوا عنـه ما زادهم فيه محبة وكمال احترام وهكذا حال المنصفين وحال المتصبين في المناصب وكل يعمل علي شاكلته .

ونحن وإن لم نبرئ أنفسنا من مثل هذه المقاصد والأغراض الشخصية فقد شاهدنا من إخواننا في بعض الأحيان ماساءنا مشاهدته منهم مما نتأسف لهم من أجله كما شاهدنا ماسرنا كثير السرور ممن هم قائمون بهذه الوظائف في الزاوية الفاسية، ذات المزايا الفاشية مع ماهم عليه من تعاطي حرفهم غير متشوفين لما في أيدي غيرهم إلا ماجاءهم عفوا من بعض من يعتقد فيهم ممالا ينبغي رده مع ماهم عليه من رفع الهمة عن قبول ذلك من جل من أكرمهم بشيء مما هم في غنى عنه.

وممن شاهدناهم ونشهد له بالفضل من أهل الهمم العالية مع ملازمتهم للزاوية المقدم البركة الشريف سيدي الحاج الطيب بن المقدم الأرشد سيدي أحمد ابن المقدم البركة العظمى سيدي الحاج الطيب السفياني مؤلف الإفادة الأحمدية رضي الله عنه فهو بريء الساحة مما ينتقد على بعض من أشرنا اليهم.

وكذلك الرجل الصالح ملازم عمارة أوقات الصلاة في الزاوية المباركة وذكر الوظيفة والجمعة الشريف النقيه سيدي محمد بن العابد العراقي زاد الله في معناه وهو ممن سمعنا في حقه من شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه الثناء عليه خصوصا في إتقان الصلوات الخمس بالزاوية الشريفة إماما محتسبا في ذلك وقد سمعته يقول تعجبني صلاته لزيادتها بدقيقة فمن ذلك الوقت كبر في عيني قدره، إلا أني لم أستفهم شيخنا المذكور عن هـذه الدقيقة ماهي هل ذلك راجع لإتقان أركان الصلاة لتطويله القيام والركوع والسجود أو لمعنى آخر من الأسرار الخاصة بأهل الله، والذي فهمته منه الجمع بينهما ومع كونه قائما بوظيفة الإمامة، فهو مشتغل بحرفته والله يحب العبد المحترف. والغالب على أهل الحرف رفع أنفسهم عن الطمع فيما في أيدي الغير بغير سبب يدعو إليه.

والحاصل أنه لاينبغي لمن قام بوظيف من وظائف الزاوية أن يكون ساقط الهمة بل ينبغي له أن يكون رفيعها غير متشوف لما في يد من يحضر في الزاوية من الإخوان، فضلا عمن جاء زائراً أو لغرض كيف ما كان إلا ما جاءه عفوا من غير سؤال من إكرام أحد الناس له بشيء فإنه لايرده سيما إن كان محتاجا لما وقع الإنعام به عليه وإلا أدى ذلك إلى مالا تحمد عقباه من نحو نفور أو احتقار أو بغض وغير ذلك مما يجده في نفسه الطالب والمطلوب والمنعم عليه والمحروم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الكلام على ما يصدر من بعض الملازمين للزوايا ممن لا حرفة لهم
وما ينشأ عن ذلك منهم وفيهم من القال والقيل والتقولات على الشيخ
رضي الله عنه وأصحابه وما يدعونه من الخصوصية وتعلقهم بأذيال
الزائرين لنيل أغراضهم الشخصية واستعطائهم تصريحا وتلويحا

إعلم أن كثيراً ممن لا حرفة لهم من الإخوان وغير الإخوان ممن سقطت همتهم واستهونوا إراقة ماء وجوههم خصوصا من كان منهم من أهل النسبة في الطريق يلازمون الجلوس في غالب الأوقات بداخل الزاوية وببابها وخارجها يترصدون الداخل والخارج من الزاوية ممن يشمون منه رائحة إسعافهم بما يطلبونه منه من إكرام وإنعام حتى إذا رأو شخصا معروفا لديهم أو غير معروف من الزائرين قد دخل للزاوية استعملوا ما في وسعهم من التوصل اليه إما باستدعائه للجلوس بين أيديهم وإما أن يجلسوا بين يديه أو يقفوا معه ويظهروا له من أنواع المبرة به وحسن المقابلة حتى إذا لم يفهم مقصودهم بذلك أشاروا له إلى إكرامهم وإذا لم يفهم تلك الإشارة أو تجاهلها صرحوا له بما يحصل له به الخجل من ردهم فيدفع للواحدة منهم ما سمحت به نفسه ومع ذلك يريد الجميع أن ينال منه ما ناله الآخر وكل واحد منهم يلاقيه بوجه لا يمكنه به رده حتى يضجر من ذلك وربما اعتذر لهم فلا ينفعه اعتذار وربما واعدهم بما يرضيهم عنه ومقصوده التنصل منهم بما أمكنه بوعد منجز أو غير منجز حتى يتكدر من حضوره بين أيديهم فينفر من ملاقاتهم مرة أخرى وربما كان ذلك سببا له من ترك زيارة الزاوية مرة أخرى وربما انتهرهم بعد ملاطفته معهم وربما قابلوه بما يكرهه فبعضهم يظهر له في الترغيب في الإحسان أو جها حسانا وبعضهم يبدي له من الترهيب إن أحرمه ما يرى به أنه يذعن له إذعانا ويخشى به من رده ليمنحه بقصده أو ينجز له بوعده أما من ساقه الحظ للجلوس بين يديه فيروا أنه قد سيقت إليه الغنيمة الباردة وترى عيون هؤلاء المحترفين بهذه الحرفة تنظر من بعد شزرا إلى ما سيتحف به هذا الزائر مجالسه وإذا طال جلوسه عنده أكثروا الترداد وهو يرام ويصير باله متشوشا من جهتهم ويتغير قلبه في تلك الحضرة التي ينبغي صفاء السريرة فيها ولربما أكرمهم بمالا يقنعون به منه حتى كأنه مجبور على ذلك لديهم وهم لا يستحيون ولقد وقع لي مراراً مع البعض منهم أمور يخجل منها

وجه المروءة في الإبداء والإعادة . وقد جلست مرة بين يدي واحد منهم لأجبر خاطره ، حيث إنه يقابلني من البعد ببشاشة ، وطالما لوح لي بالجلوس لديه ، فوضعت بين يديه ما سمحت به النفس من غير أن أحوجه إلى سؤال مني ، عسى أن يدخل بذلك عليه السرور إذا فارقته وأردت النهوض ، فقبض يدي عند مصافحة وداعه ، وقال لي بوقاحة زائدة : لا تقم من هنا حتى أنظر إلى القدر الذي وضعته ، ثم حسب ذلك كأنه يعد دراهم كانت في ذمتي له ، ثم التفت إلي وقال لي : يافلان ، أيليق بك أن تزورني بهذا القدر مع أنه يتعين عليك أن لا تقصر في إكرامي . وصار يوغلني بتوبيخ ماعليه من مزيد حتى هممت أن أرجع فيما أكرمته به وأزيله من يده . وشاهد مني انقلاب الأحوال ، فعندئذ أقصر من العتاب ، وصار يلاطفني خشية أن أغلظ له في الجواب . ثم قمت من بين يديه محوقلا محسبلا . وعرفت ما هو عليه من الجلوس في الزاوية في هيئة المتنسك ، وعذرت من كنت أراه يباعد بنفسه عن مخالطته من ذوي المروءة . والعجب العجاب أنه من تلك السويعة صار لا يلتفت إلى ناحيتي إلا اختلاسا ، ينظر هل أعود للجلوس بين يديه إذا حضر .

ومن هؤلاء المحترفين بهذه الحرفة ، تشيع فاحشة التقولات على الشيخ رضي الله عنه ، وانتحال مقالات يتحيلون بها في الاستيلاء على ما في أيدي الزائرين بما أمكنهم من أنواع التحيلات ، وما يختلقون من المناقب والكرامات ، وما يزعمون أنهم شاهدوه أو شاهده لهم غيرهم من المرائي وضمان الترقي لأرفع المقامات ، وأنهم وأنهم وفق ما اتفقوا فيه فنهم . ويذكرون عن الشيخ رضي الله عنه وخاصة أصحابه وفضل طريقته الأحمدية ما لا أصل له . مما ينقله عنهم المريد الذي لا علم له ، فيحدث بما سمعه ، وربما زاد في ذلك ما تعظم به مصيبة الإنكار على الشيخ المحمدي ، هو وطريقته مما تقول عليه من ذلك ، مما يتعين زجر هؤلاء المختلقين لما حدثوا به من هذه المناقب التي هي في الحقيقة مثالب ، ويتناقلها الرواة عنهم جماعة عن واحد

« م – ٣ جناية المنتسب »

وواحد عن جماعة، حتى تكاد أن تصير من قبيل التواتر عن الشيخ رضي الله عنه. وربما أدرجت في تأليف من تآليف الطريق مع ما هي عليه من الوضع والتقول ـ والشيخ بري منها ـ مع تصورها في صورة منكرة برزت فيها بين يدي علماء الشرع. فالمتعين تطهير جانب الطريقة من مثل هؤلاء القوم، الذين قاموا بنوع غريب من التدجيل وعدم الالتفات لما يشيعونه بما هو من هذا القبيل. ويوجه من لا يصبر على الإنكار، إنكاره لتلك المقالات، لمن نسبت اليه، المتبرىء منها بقوله: إذا بلغكم عني شيء فزنوه بميزان الشرع.

وليعمل الزائر للزاوية ما أمكنه على التباعد من مخالطتهم، ولا يجنح إلى الثقة بمن تطوع له بإخباره بمنقبة أو كرامة أو رؤيا شاهدها في حقه أو رؤيت له، فإن المقصود لديهم فيما لديه من الأمر، وهو اتحافه بما في يديه ولو بدرهم.

ولا بأس بمد يد المساعدة لهم بما يطلبونه منه، فهم في الحقيقة فقراء. وقد كاد الفقر أن يكون كفرا. غير أنه لا يعتمد على ما يقولون. فهم من الذين على الطريقة يتقولون. فالأولى نسبة ما لا يناسب مقام الشيخ إليهم، ليكون الإنكار عليهم.

وقد أفصحت عن هذه الحقيقة في هذه الطريقة، تطهيرا من تلطيخ المتقدين لجانبها مع صفاء مشاربها، وإن كان الإفصاح عن مثل ما أفصحت به يسخط جماعة منهم علي، وما علي إلا النصح لمن هو مني وإلي:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها

فلا يلتفت الموفق إلى أفعالهم ولا إلى أقوالهم، فهم من الدخلاء في الطريقة، وليسوا منها في شيء وإن انتسبوا إليها. ولو صدقوا الله لتركوا هذه الحرفة المذمومة، ونزهوا ساحة الطريقة من كل ما لا يليق بها، حتى تخف وطأة النكير من المغرمين به. فقد عظمت بهم المصيبة، وصاروا هدفا لسهام المصيبة، بما لا صحة له مما يقولونه ويتقولونه. ولا يجمل بمن فيهم هذه النصيحة والإخلاص منا له، أن يتخذ جلوسه في الزاوية في أي بلد كانت حرفة معاشه، ولو بأن يموت جوعا

على فراشه ، إلا إذا أكرمه أحد من غير سؤال ، أو كان ممن ساغ له السؤال ، بما نزل به من الأحوال ، فليسأل خارج الزاوية من غير تملق ولا إلحاح ، لموجب الضرورة وما على صاحبها من حرج ولاجناح . ومع هذا كله فالأولى له أن يشتغل بحرفة غير هذه الحرفة . والله يلهمنا رشدنا ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه .

الـكلام على مايفعله بعض المقدمين في الطريقة من الـكتب للإخوان للاستعانة على بناء زاويه أو إصلاحها ومايشأ عن ذلك من التقولات

لا ينبغي لأي مقدم لتلقين الطريقة أن يتداخل مع عامة الإخوان ولا مع خاصتهم في جمع ما تبنى به الزوايا ، ولا أن يطلب الإعانة منهم على بنائها . فلا يشافه الناس بذلك ولا يكاتب أحدا فى ذلك ، لما فى ذلك من التشوف لما فى يد الناس وهو يورث البغض من الكل أو البعض ، مع ما فى ذلك من التهمة له وسوء الظن به فى كونه يريد أن يجمع لنفسه ما يطلبه منهم ولو عين لجمع ذلك أمينا من الإخوان يحفظه ، فتسري التهمة له فى كونه ما اتخذه أمينا إلا ليقسم معه الحظ الأوفر من المتحصل من ذلك ، ولو كان ذلك على غاية ما يكون من ضبط الداخل والخارج ، فإنه لا يبعد أن تدخل الحيلة فى الأخذ من ذلك ، بادعاء ضياع شيء من ذلك ، أو ادعاء نسيان شيء صيره ، ولم يدرجه فى حساب الصوائر ، ويظهر من نفسه أنه سامح فيه إن لم يصدقه الإخوان ، فقد يتهمونه فى ذلك سواء غرموه له أو لم يغرموه له ، ولربما ادعي السلف لإتمام هذا المشروع من ماله إلي أن يسترجعه من الاكتتابات التى يؤمل الحصول عليها ممن كاتبهم ، ونحو هذا مما تسرع التهمة إليه فيه ولو كان السلف منه أو الضياع له حقيقي ، ولربما لم يستوف حقه بما كان يؤمله من ذلك ولا ينتج له من ذلك غالبا إلا الحقد وعدم الثقة ، وإذا فقدت الثقة لم تبق نية صالحة ولا جميل اعتقاد فيما قام به من تلقين الأوراد ، والاعتماد عليه فى الإرشاد . ولا تسأل عما وراء هذه الأكمة من الانتقادات التى ينتجها قيل وقال ،

وما أوقعه فيه ورطة السؤال زيادة على ما يتغير به قلبه على من لم يساعده على اقتراحه ، أو لم يسارع إجابته لما طلبه من ذلك ، وربما تصدر منه مقالات فى جانبه ينقلها عنه النقلة ، وغالب من يكون معه جهلة ، فينشأ عن ذلك بينه وبين الإخوان مالا تحمد عقباه . وكان في غنى عن ذلك برفع همته عن التداخل فى مثل هذا الأمر ، لا ينهى ولا يأمر . وهنا يجد الشيطان السبيل للخوض فيما بينهم ، وقطع الوصلة التي كانت محكمة الرابطة فيما بينهم ، بما لا يخطر على بال في انقطاع حبل الأخوة في الله . ولا يخلو هذا الأمر من إذاية البعض من البعض والإذاية في الباطن أمرها جلل ، ولا بد فى هذا من حصول خلل من البعض إن لم يكن من الجل أو من الكل .

وإذا كان لا ينبغي من المقدم التداخل فيه ، فمن باب أولى دخول مطلق المريدين في ذلك . فقد كثر التحيل فى مثل هذا الأمر منهم ومن أمثالهم ، ولا يصدر هذا غالبا إلا من أصحاب الفضول والدخلاء في الطريقة بالانتساب المكذوب ، ليتوصلوا بذلك لما يؤملونه من ذلك المطلوب . وغالبهم ينقطع حبله ولا يخرج مع الإخوان بسلام أمره ، كما هو مشاهد . إلا أنه لا يرد إليه باله المشتغل بذلك . وياليته لو سأله لنفسه المعروف بدلا عما ينتحله من هذا الأمر الذي يحتاج فيه إلى مصروف . فإن بناء الزاوية من قبيل العمل الصالح ، يحتاج فيه إلى نية صالحة من الرجل الصالح ، وأمرها قائم بالله ، فلا يتدخل المقدم في ذلك إلا بالفرح مع إخوانه فى نجاح مسعاهم . وليدعهم داعيا لهم بالتوفيق للتحصيل على متمناهم ، وليحذرهم من سوء الظن فيما بينهم ، والتقاعد على شيء مما يفيء الله به مما تقر به عينهم ، فإن من أخذ شيئاً من الزاوية فقد أخذه مما هو منسوب لله بواسطة الشيخ . وقد بلغنا عنه رضى الله عنه أنه كان يقول : من أخذ لنا إبرة ضاع له المخيط . يعنى أن من أخذ من الشيخ ما يساوي ثمن إبرة ، يضيع له ثمن المخيط . كناية عن التحذير من أخذ شيء له فإنه من أخذ منه الشيء القليل ضاع له الشيء الكثير . وقال رضي الله عنه : من أخذ لنا شيئاً فذلك حظه منا . فليحذر الذين يخالفون عن أمره من حلول المصائب بهم ، مع الحرمان من الظفر بسره . والله يسلك بنا جميعا مسالك النجاة آمين .

## الكلام على تكليف أولاد الشيخ رضي الله عنهم لبعض الاخوان بقضاء بعض مطالبهم، والكتب للأحباب في إعانة من استكتبهم إلى المقدمين وغيرهم.

إعلم أن محبة أولاد الشيخ رضي الله عنه، إنما هي من تمكن محبة الشيخ الذي حبه من حب الرسول صلى الله عليه وسلم. ولولا تحقق محبة الشيخ في الرسول عليه السلام، التي توصل بها لمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، ما أحبه ولا أحب من انتسب له، وبالأخص محبة أولاده ونسله، لما تحقق في سره من كمال فضلهم فضله. فعلى قدر محبته محبتهم، وبحسب مودته مودتهم. والظاهر عنوان الباطن. فمن أحبهم فبحبه أحبهم. وكل محبة لم تكن مبنية على أساس الشرع، فهي خداع لا عمل عليها. ولا موجب لمحبة المريد فيهم، إلا لما يعتقده فيهم، من سر الخصوصية التي نالوها من موروثهم الذي أحبه، بما تحلى له فيه من الخصوصية الكبرى باتباع الشرع الذي انقاد إليه بداعية الإيمان طبق ما أشرنا إليه. فما أحب الأولياء في الحقيقة ولا أولادهم إلا من أحبهم من هذه الحيثية ولهذا ينقاد المريد لشيخه الذي يعتقد فيه أنه يصل بأتباعه إلى مرضاة الله ومحبة رسوله عليه السلام.

ولقد بلغنا من الوجه الذي لا شك عندنا في صحته، وتلقيناه بحمد الله بحسن ظن وجميل اعتقاد، أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ضمن لسيدنا رضى الله عنه الفتح لأولاده وأولادهم وخدامهم ولكل واحد من أصحابه حظ وافر من وراثته في محبتهم. ولا شك أن المحب لشيء دائما يميل بقلبه إليه، ويتقرب إليه بكل ما يمكنه التقرب به إليه، مما تقر به عيناه، ويبلغ به منه متمناه. ولهذا ترى دائما الصادق في محبتهم يسعى لقضاء أغراضهم بطيب نفس، ويخاطر بنفسه في ركوب الأهوال، ولا يكبر في عينه ما ينفقه في رضاهم من الأموال، ولا تراه مخالفا لأمرهم ولا يعصيهم في شيء. إلا أن تلك المحبة تكون تارة على النهج القويم، وهي التي ينتفع بها المريد وغيره ممن يتقرب إليهم من أصحاب الظن الحسن والاعتقاد الجميل،

وتارة تكون عن تهور ربما تفضي إلي ما لا يحمد أمره ، ويستحيل أمرها إلى فساد . فلا عمل على المحبة التي هي من هذا القبيل ، لكون الغالب فيها الأغراض . والتى يكون مدارها علي الحب فى الله هي النافعة فى الدارين ، وعلامتها الحب فى الله والبغض فى الله . فإذا زال موجب البغض رجعت للأصل الذى هو الحب فى الله ، ويظهر محبتها من هذا الوجه فى امتثال أوامرهم واجتناب نواهيهم التى لا تخالف الشرع بحال ، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

فإذا فرضنا أمرهم بمعصية ، فخالفهم مأمورهم ، لم يكن ذلك معدودا منه فى حيز المخالفة المذمومة . بل هو معذور شرعا فيما لم يمتثل فيه أمرهم ، وهم رضي الله عنهم متمكنون فى مقام المعرفة بالله ، فلا ينتهكون حرمته . على أنهم أيضا غير معصومين ، فلا يؤاخذون من سلك معهم نهج الشرع فى ذلك . وإن آخذوه فى الظاهر لم تمسه يد مرتبتهم الباطنة بسوء أصلا . وتكون مؤاخذته من قبيل غلطهم . فلا بد أن يرجعوا إليه معتذرين معترفين بفضله وصدق حبه ، سيما إذا نبههم على ذلك ، وأن أمرهم الذي أمروه به أمر مذموم شرعا ، أو يوجب الانقطاع عن طريقة الشيخ الذى رفع الله لهم به قدرا ، وأعظم لهم به أجرا . وماهم إلا بشر من ذوى الخصوصية ، تقضى عليهم البشرية كما تقضى على غيرهم فى مراعاة أوامر الشرع ونواهيه ، فهم مثل غيرهم فى معاملة الناس بما لا ضرر فيه ولا إضرار ولا حرج فى الدين الذي جاء به المصطفي النبى المختار صلى الله عليه وسلم فيسلكون مع الإخوان والأحباب وغيرهم فى أغراضهم ونيل ما يهمهم منهم قضاؤه ، وحينئذ فلا حرج على المريد إذا لم يوفق لمساعدتهم فيما يقصدونه منه من قضاء أغراضهم الشخصية ، ولا يعد بذلك منقطعا عن الطريقة .

بل إنهم بأنفسهم رضي الله عنهم في هذه الطريقة المحمدية لابد من الإذن لهم فى أذكارها اللازمة ، ومن لا إذن له منهم في تقديم غيره ، لا يسوغ له أن يقدمه فلا يقدمه اعتمادا منه على أنه من أولاد الشيخ . فإن مزية التقديم والإذن فى الطريقة شيء ، ومزية البنوة والخصوصية شيء آخر ، فلا بد من تحقق الإذن فى حقهم ،

فهم من جملة المريدين إن تلقوا الطريقة عن مقدم له إذن صحيح فى التلقين . كما أنه لا يصح التقديم من أحد منهم إلا إذا كان الإذن له فيه مقيدا أو مطلقا ، لأن الطريقة مبنية على أساس لا ينبغي التساهل فيها بهدم ما انبنى عليه ، وحل ما انبرم فيها من حبل الرابطة المتصلة بالواسطة العظمى بين المريد وبين النبي صلى الله عليه وسلم وهو الشيخ رضى الله عنه ، وإلا صارت الطريقة مفتحة الأبواب لكل من أراد أن يدخل فيها أو يخرج منها أو يدعي فيها ما شاء . وأنى لمن أراد ذلك بذلك ، فإن الأمر جد لا هزل . فإن الناس إذا تحققوا بمثل هذه الأمور ، أعطوا للطريقة حقها ، وتحققوا حق اليقين بأن المدار فيها على صحة النسبة بالإذن الصحيح ، ممن عندهم الإذن الصحيح . وأولاد الشيخ رضي الله عنه مع غيرهم فى ذلك على حد السواء . ولكن مراعاة جانبهم رضي الله عنهم بالإجلال والاحترام ، وتقديمهم على غيرهم ، وإيثارهم بما تطيب به الأنفس ، من شيم الصادق فى محبة جدهم . وهو من الأمر الذي يتعين مراعاته على الخاصة والعامة ، لا سيما إذا تداخلوا بين الاخوان بإصلاح ذات البين فيما بينهم ، ونحو ذلك مما فيه صلاح حالهم حالا ومآلا .

كما أنه يتعين على أبناء الشيخ رضى الله عنهم ، مراعاة حق الناس مطلقا ، والإذعان للحق الواجب عليهم بالشرع المطاع ، فإن الشرع حكم عدل بين الجميع ، لا يقاومه من يعرف الحق ويعظم الناس جانبه من حيثية الحق ومن انتهك حرمة الحق لا يأمن من انتهاك الناس حرمته :

ثم اعلم أن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها . والشيوخ رضى الله عنهم، قد أحسنوا إلى المريدين . فبجاذبية حبهم ، انجذبت القلوب لمحبة أبنائهم ، ومحبة محبيهم ، وحب من أحبوه ، وكل من انضاف إليهم ، لكونهم فى نظرهم من المحسنين لهم . وبالإحسان يملك الإنسان . فما دام الشخص يرى الإحسان ممن ينحاش إليهم بتلك العاطفة القلبية ، إلا وهو مراع لتلك الرابطة التي ربطته بمحبوبهم وإلا حصل للنفوس نفور . وإذا نفرت جمحت ، ويعسر انقيادها بعد ذلك ، كما يقول القائل :

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

والدرك فى قطع حبل الود بينهم ، على من لم يعامل محبيه بما يحب ان يعاملوه به . وفى الحديث الشريف : لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه . اه

والنفوس سريعة الانفعال بجاذبيـــة البشرية ، للشر المجبولة عليه فى حق غير المعصوم ، فهي تلتمس أدني سبب في الانقطاع عن حبل الخير والمتمسكين به من أهل الخصوصية . فهي بأقل شيء تسيء الظن بهم ، حتي لا يتم لها النفع بهم ، إن لم يكن مقدرا لها على يدهم .

ولقد فقد أبناء شيوخ الزوايا الناصحين . ولم يتجاسر واحد علي إبداء النصح لهم ، خصوصا إذا كانوا من أبناء شيخه ، فهم بالمرتبة العلوية وهو بالمرتبة السفلية ، فبما يستشعره من نفسه ، لا ينصحهم ، ولا يقبلون منه لنظرهم اليه بعين استخدامهم. علي أن أبناء الشيوخ فى كل طريق من كل فريق ، هم أكثر الناس فى الاعتماد علي فضل آبائهم وعلو مناصبهم ، قد اعتادوا من الناس تقبيل أيديهم ، والمسارعة لقضاء أغراضهم كيف ما كانت، لإدخال السرور عليهم . فجلهم يفخر بجدوده ، وكل واحد منهم يتوسل لهم فى توصله لمقصوده . فهم مع ما هم فيه يضمنون لهذا النجاة من النار ، ولهذا الدخول للجنة بلا حساب ولا عقاب ، ولهذا كذا ، ولهذا كذا ، ونحو هذا مما هم أحوج الناس إلي ضمانه لهم ، وهم متحققون بذلك إلا من كان في درجة البله الذين هم من قبيـــل المجذوبين ونحوهم ممن يعيشون ليأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الأمل فسوف يعلمون .

ولقد قعد الشيطان لأبناء الأولياء بالمرصاد ، وهو لهم عما ينفعهم فى الدارين صاد . ولم ينج منه إلا القليل منهم بين العباد . فهو فيهم يشفى غليله حيث نجا منه أباؤهم . فهو يأخذ ثأره فيهم ، إلا من حفظه الله منه ، بإرثه لخصوصية آبائه . فإنه لا يخلوا واحد من الأبناء من إرثه لسر الآباء ، بمقتضى : ( والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ) ومراعاة الحق لهم بموجب قوله (وكان أبوهما صالحا).

ثم إن الموجب لعدم بذل النصح لأبناء الشيوخ، من ذوى الثبات والرسوخ أيضا أمران :

أحدهما : ما يختلج في صدر محبهم الذى لم يبد لهم النصح من كونهم أهل فتح ومعرفة بالله، ونحو ذلك مما يرجع لخصوصيتهم. فهو يحمل جميع ما يتعين عليه النصح لهم فيه، على محامل اقتضاها ظنه واعتقاده، ويرى أن ذلك إنما صدر منهم عن إذن رباني، أوهم ملامتية فيما صدر منهم مما يخالف الشرع. ويناضل بذلك عنهم من انتقد فيه عليهم، ويرى هذا منه من صدق المحبة فيهم مع أنه لو كان صادقا في المحبة، وكان محبا حقيقيا، لبذل لهم النصيحة، حتى لا تحصل لهم بذلك الفضيحة، ولا أقبح من صدور المعصية علنا من ذوي الفضل. ولا يتجاسر بالجهر بها إلا عن تقيد بجهل. فأول شيء ينبغي النصح به لأبناء الزوايا، أن يرشدهم محبهم للتعلم بأنفسهم، وتعليم أبنائهم، حتى لا تكون تربيتهم في حجر خدامهم الجهلة الذين يفسدون أخلاقهم بمساعدتهم بقضاء مطالبهم، ويعتادون ذلك منهم، ويرون طاعة الناس لهم أمر لامحيد عنه، ولا يخالفهم في ذلك حسبما يرونه إلا الشقي الطريد من طريق السعادة، وهم في ذلك على جانب الغرور في خطر عظيم، إلا من أخذ الله بيده، فألهمه رشده وبلغه قصده، حيث علمه. فكان بعين العلم ينظر أعماله التي يعملها. ولا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه.

الأمر الثانى : من الأمرين الموجبين لعدم بذل النصح لأبناء الشيوخ : مايخشاه الناصح إذا نصحهم أن يبغضوه. فإن النفوس تنفر ممن بذل لها النصيحة، خصوصا إذا كانت ترى نزول مرتبة الناصح عن مرتبتها، وتقول كيف ينصحنى هذا ؟ أمثلى من ينصحه وهو أصغر مني قدرا وفضلا ؟ ونحو ذلك. مما هي متمسكة به من حبل الغرور. وإذا حصل منهم بغض لهذا الناصح، وقع في محنة معهم ومع المتصرين لهم ممن استهووه أو استهواهم، ولا تسأل عما يحدث بعد ذلك من المحن والمصائب التى ربما تؤدى إلى أن يشتهون الموت دون ما أصابه منها. فكان هذا المتوقع من الخوف، مانعا من إخلاص النصح، إلا إذا طلبوا منه النصح، وقليل منهم من

يطلبه ولو على سبيل الاستشارة فى أمورهم التى اضطروا إليها . ومع ذلك إذا نصح قد لا يقبلون منه النصيحة ، لكون أبناء الزوايا جاهم فى استبداد من أمور دينهم فأحرى أمور دنياهم . وعلى فرض أنهم جنحوا لمن ينصح لهم - إن وجدوه - فلهم كما لغيرهم من ذوي الأمر بطانتان ، بطانة خير وهي قليلة الوجود إن لم تقل عديمة ، لاستيلاء الهوى على النفوس ، فهي بما هي عليه غير معصومة منه من الأغراض الشخصية كالعدم . والبطانة الثانية ، بطانة سوء وهي الملازمة لهم غالبا ، يعملون بإشارتها ولها التغلب على البطانة الأولى . ومن هذه البطانة الشرية السرية تحدث أمور تصطك لها المسامع ، إذا قررت فى المجامع ، وبذلك تقوم قيامة المنتقدين على الزوايا وأبنائها وغيرهم من المريدين المحقين والمبطلين ويجد المبغضون بذلك مجالا فى إشاعة ما ينفر القلوب عنهم بين الخلق ، بما هو فى الحقيقة حق وغير حق . وهم فى غمرة الغفلة عما فيه بطانتهم لاهون ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، بامتحان اتباع آبائهم فى سلوك طريق الحق . فمنهم من ينقض حبل عهده بذلك ، ومنهم من ينقد الزائف فيدخر الجيد ولا يهتم بما هنالك ، ومنهم من يبادر بالانتقاد عليهم فيه ، ومنهم من يزيده ذلك اعتقادا فيهم ، ومنهم ومنهم ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

فإذا كان باب التقولات على الكمل مفتوحا ، فلا ينبغى التسارع إلى الإنكار عليهم فيما لم يتحقق أمره ، بل من المتعين على الناقد أن يكون بصيرا بما عليه المرجفون وما يحدث به المتقولون . فلقد يصدر من بعض المنتحلين المفترين ، فى النسبة لشيخ من الشيوخ بأنه من خاصة أصحابه أو خاصة أحبابه أو هو من أولاده أو أحفاده ، ويخبر بما يروى عنه من المنكرات ويفعل ما يلام عليه في الحياة وبعد الممات ، فيتحدث بذلك المتحدثون ، ويعظم به الإنكار على البريء من ذلك الأمر الذي انتقده المنتقدون .

ولقد ادعى كثير من الشحاذين ، البنوة لشيوخ بين قوم محبين لهؤلاء الشيوخ ، فقضوا بذلك وطرا . كما بلغنا عمن ادعى كونه من أبناء الشيخ التجانى

بالقطر السوداني ، حتى فضح الله سريرته وما انتفع بما جمع ، فالمتعين في مثل هذا الأمر ، الثبات كل الثبات . فإن الأمر ليس بهين على المتدين .

ولا ينبغي لأبناء الشيوخ أن يميلوا إلى بطانتهم كل الميـــل . فالبطانة تقلب الحقائق لهم ، فيتخذون لهم من الأحباب أعداء ، ومن الأعـــداء أحبابا . وبهم يحصل تشتيت شمل إخوانهم ، ويفرقون بينهم وبين أحبابهم ، ولا تسأل عما تبرمه هذه البطانة من حبال مكر ، وما تفعله من فعال شر ، وما تتقوله على الجميع ، وماتكاتب به على لسانهم لمحبيهم ومبغضيهم من أوطانهم وغير أوطانهم ، ويلزمونهم بأمور ربما تضيق بها الصدور و كثير منهم يزين لأولاد الشيوخ إصدار أوامرهم بمثل ذلك ، اعتمادا منهم على أن الناس جميعا خدامهم . وربما لم يساعدهم المكتوب لهم على مايأمرونهم به، يصدر منهم مايجرح العواطف، ويؤدى ذلك إلى مالا يحمد لافى الحال ولافي المثال . وأبناء الشيوخ الذين لهم مثل هذه البطانة هم المؤاخذون عند الحق والخلق ، بما يصدر منهم لافى الرخاء ولافى الشدة ، وعليهم في جميع ما ينكر ويستنكر العهدة فلا بد أن يتخذوا حذرهم من بطانتهم ، حتى تنفرد البطانة وحدها باللائمة ، جاهلة كانت أو عالمة . ولا ينبغي للمريدين أن يبادروا برفض ما اقترحه عليهم أولاد شيوخهم ، ولا يتأثروا بما يصدر من هذه البطانة من الإذاية لهم إذا لم يكن لهم مسيس بحبل رابطة الديانة مما يخالف الشرع في الظاهر . كما أن الموفق من الأعلام لا يؤاخذ الشيوخ بما يصدر من أبنائهم من المعاصي والآثام . ولا من مريديهم والمنتسبين لهم بين الأنام ، لأنه لا يؤاخذ برىء بجريرة مسىء ، سيما في مثل هذا المقام الذى يسرع بالزلق فيه الخواص من العلماء فضلا عن العوام .

وإذا تقرر لديك أيها المطالع هذا الكلام ، فنرجع لتحقيق الحق المنوط بما عقدنا له الترجمة هنا ، فنقول :

إن أبناء سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه وأحفاده ، وإن كانوا في كنف

حفظ الله مقبمين ، وهم بأنفسهم بشر غير معصومين من صدور المعاصي منهم ، فبطانتهم من هذا القبيل ، لا تخلوا من بعض ما بيناه في بطانة غيرهم من أبناء الشيوخ ، فإن لم يكن جلهم متحقق فيه ذلك فالبعض منهم يصدر منه ماهو من المنكر وجل أعمالهم لا تفكر فلا ينبغي تنزيههم مما ينتقد على غيرهم فيه ، كما لا ينبغي ممن كان من حزب أولاد الشيخ وفقهم الله، قريبا منهم كان أو بعيدا عنهم ، أن يحط من قدر الطريقة بما يصدر من أحدهم أو من جميعهم ، فالطريقة شيء ، وأبناء الشيخ شيء ، والمدار على الاستقامة في كل شيء .

ونحن وإن كنا من خاصة المحبين فيهم ، فإننا إذا رأينا منهم منكرا ننكرهه ، ومن صدر منه من ذلك شيء ننبهه، وإن كنا أحط منه قدرا فلا نستطيع معه صبرا . ولهذا تجد الموفقين من المقدمين الذين يكاتبونهم، يجيبونهم بما فيه الخير ، ويبادرون بما يدخل السرور عليهم به قبل الغير . ولم نر أحدا من أبناء الشيخ رضي الله عنه أمر أحدا من المقدمين بمعصية ، أو يعينه عليها . وغالب المكاتب التي تصدر منهم ، إذا انطوت على حدة وجلال ، أو شافهوا أحدا من الاخوان بها في أي مجال ، فإنها تصدر منهم عن قلب سليم . وغالب ذلك إنما يكون بإغراء من بطانة سوء لها أغراض فى ذلك ، تسعى بما أمكنها من الوشاية وتحسين ما تقصده في نظرهم ، وتشويه صورة ما يريدون تشويهه ببذل ما في وسعهم حتى يحصلوا على مرادهم ولسلامة صدور أولاد الشيخ رضى الله عنه ، يحصل منهم الإغضاء عما يصدر من خدامهم ومن المتعلقين بأذيالهم . ولم يلتفتوا إلى ماوراء ما يقصده أصحاب الأغراض منهم فيكتبون لمن طلب منهم الكتابة للإخوان مكاتب مفتوحة يوصونهم بفعل الخير معهم ، أو يقضون لهم بعض الأغراض الشخصية ، ويوجهونها بمن يصحبها بيده لهم ، وربما دفعوا له لثقتهم به مكاتب مطبوعا عليها بطابعهم ، وهي بيضاء فيكتب فيها من هي بيده ما شاء لمن شاء ، وذلك كله بإيعاز من بطانتهم ثم لا تسأل عمن جاء بهذه الرسائل وما يعامل به المقدمين والإخوان والأحباب ، وما يتقولونه عنهم أيضا المتقولون ، بحيث لو بلغ ذلك إلى كبيرا لهم أو أصحبها معهم من أبناء الشيخ رضى الله عنه ، لمنعوا هؤلاء الجوالين بين الإخوان الساعين لجمع الزيارات

وفتح المزارات ، المدعين بأنهم قائمون مقام أولاد الشيخ لقضاء بعض أغراضهم وهم في الحقيقة يقضون أغراض أنفسهم كيف ما تأتت لهم .

ولولا أن الحق تعالى يحب ستر عبده ، لذكرنا جماعة ممن اجتمعنا بهم ، وكل واحد يدير دولابا من الدجيل ، ويتقول على الشيخ رضي الله عنه وعلى أولاده - والبعض منهم حاضر - تقولات ضمنها كبريات مع دعوى الخصوصية ، للحصيل على بعض الأغراض ، ويتوصلون إلى ذلك بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى ، وربما رفعوا الشيء من المحل الذي حضروا فيه ، ويستحي صاحبه من منعه منه - وسيف الحياء كسيف الغضب - وكثير من الناس يستعيرون بعض التحف ليزينوا بها محلاتهم التي يحضر فيها مثل هؤلاء القوم لإكرامهم ، فيأخذون منهم تلك التحف ، بدعوى أن ولد الشيخ تشوفت نفسه إليه ، فلا يجد المستعير مندوحة عن غرم ذلك لمن أعاروه ، ونحو هذا مما يفعلونه ، والألسنة تتطرق فيهم . وربما وقع الانتقاد بذلك على ولد الشيخ وهو لا علم له بالواقع من الأصحاب الملازمين له ، ولا يرافقه من بطانته إلا من له خبرة بإدارة دولاب الحيل في التوصل لمثل هذه الأشياء . وأولاد الشيخ رضي الله عنه في غفلة عما يفعلون بين الأحباب وغيرهم . وهذه الأمور لا ينبغي الانتقاد بها على الطريقة . لأنها ليست من الطريقة في شيء . والمتعين حينئذ منعهم من مثل هذه المكاتب ، وعدم مساعدتهم على ما يطلبونه ، وترك الإنكار على من لا علم له من أبناء الشيخ رضي الله عنه بما يقوله هؤلاء الجوالون ، وما عليهم في ذلك يتقولون ، ولا بأس بإكرامهم طبق ما يؤملون ويرجون ، إدخالا للسرور عليهم وبالأخص من كان من خدامهم الصادقين ، وهم كثيرون من الملازمين لهم بين العامة والخاصة ، إلا أن المخلصين منهم قليلون . فلا يسيء المحب في هذا الجانب الشريف فيهم ظنا ، وليراع فيهم النسبة . وإن وفق الله من المريدين بل المقدمين من فيه أهلية للنصح فليبذله لمن صدر منه ما يوجب الإنكار عليه منهم ، ولا عليه فيما وراء ذلك من قبولهم وعدم قبولهم وبيد الله التوفيق .

وفيما قررناه هنا وكررناه مرارا كفاية ، وما قصدنا إلا إخلاص النصح في

الطريقة، ورفعنا به الحجب المسدلة على وجه الحقيقة، وإن خاطرنا بأنفسنا في خوضنا في هذا البحر، مع أننا لا نحسن فيه السباحة. وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وحسبي الله ونعم الوكيل، ممن يفهم غير المراد، ويسعى بتحويل الكلام عن مواضعه ليوقع بذلك بين العباد الفساد. والله غالب على أمره.

الكلام على جمل المزارة بالزاوية وما ينشأ عنه

لم يكن في عهد الشيخ رضي الله عنه، ولا في عهد أصحابه الذين أخذوا عنه طريقته مشافهة، مزارة لجمع ما يتبرع به الزائرون الداخلون للزاوية. وإنما يكون بالزاوية قيم، على يده مفتاح محل خاص لوضع الزيت والشمع الذى هو معد لإنارتها. ثم ما يفضل من ذلك يباع بين الإخوان في وقت يقع الإعلان به. وما اجتمع من ثمن ذلك يصرف في مصالح الزاوية مع ما يتوفر مما جعل وقفا عليها. فتجد أصحاب النيات الصالحة يتزايدون فيما عرض للبيع من ذلك لنيل البركة باقتنائه. وهاهنا يجد المتقولون على الشيخ رضي الله عنه وعن أصحابه، ما يفتح أبوابا من الانتقاد لا من الاخوان ولا من غيرهم. فتجد الجهلة منهم يعتقدون أنهم يتوصلون بما اشتروه لأغراض خصوصية ويجعلون ما يسمونه الوعدة فيه عند تحصيلهم على المطلوب ومنهم من يلزمه بشراء ذلك بعض المتظاهرين بالصلاح من مقدمين وغيرهم، ممن لهم أغراض أو هم على فترة أو فطرة أهل نية، لا يضربون لما وراءها حسابا يراجعهم فيه المنتقدون بسوء ظن، ونحو هؤلاء، وما يصدر منهم لا تؤاخذ به نفس الطريقة عند المنصفين، لأن هذه الأمور ليست من الطريقة فى شيء، فلا معنى للتعرض في الطريقة للاعتراض بها على أهل الدين من المتقيدين بحبل هذه الطريقة الأحمدية، سيما وشيخ الطريقة يتنصل مما يعتقده بعض الجهلة من زائريه.

فقد بلغنا عنه رضي الله عنه، أن بعض الزائرين له قيد حياته، وضع بين يديه بعض الدراهم، فقال له الشيخ رضي الله عنه: ارفع عني دراهمك فأنا لا أبيع الأولاد. وكان ذلك الزائر نوى بوضع ذلك بين يديه أن يرزقه الله ولدا ببركة الشيخ ودعائه، فأعلمه الشيخ بحقيقة الواقع وأن الله هو الصانع وليس للشيخ فى

دخل ذلك . فهو حقيقة لا يبيع الأولاد حتى يحصل لهذا الزائر ما نواه بوضع دراهمه بين يديه ، لكون هذا الزائر كان جاهلا بما يقصده أصحاب النية الخالصة من تقديم الهدايا للشيوخ ، وما يقصده الشيوخ عند أخذها من زائريهم وأحبابهم وأصحابهم . وفي ذلك مقاصد حسنة من اختبار المريد بأخذ ما بيده ، وما يصدر منه مما يبرهن على محبته ببذل مابيده ، وغير ذلك مما يطهره ويزكيه به . فيدعو له الشيخ الذى يعمل بمقتضي الإرث المحمدى بالحال الذي يتلبس به في مقام : «وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم» فيعمل الشيوخ في هذا المقام بما يسكن به قلب مريديهم ومن يقصدهم بنية صالحة ، وربما إذا تحققوا بمقصود من يحضر معهم في بعض مجالسهم التي ينبسطون فيها ، يعاملونه بمقتضى البسط بما يجارونه فيه إدخالا للسرور عليه . والأعمال بالنيات عندهم ، لا يخرجون عن بساطها في ذلك الانبساط كما وقع مرة بمحضر الشيخ والمائدة منبسطة للأكل معه ، فأخذ أحدهم لقمة طعام من بين يديه ، فقبض بعضهم علي يده وقال هي علي بمثقال . فقال الشيخ رضي الله عنه أعطه الله يربحه . وقد كان الحاضرون راموا الزيادة عليه فيما التزمه من ثمنها . وقد سلك الشيخ رضي الله عنه معهم في هذا المحضر مسلك الانبساط الذى ما فيه شيء يوجب الانقباض إدخالا للسرور علي ذلك الملتزم مع الحاضرين، ولولا ما تحققه من حسن ظنه والخوف من اعتقاد شيء من الحاضرين في شراء تلك اللقمة لمنعهم الشيخ من مثل هذا الأمر الذى نبه عليه أنه لا بأس به إذا وقع بمحضر الشيوخ العارفين ، لأن التبرك بما تم لا ينكره إلا من قصر باعه في العلم ، مع وروده عن السلف العاملين بمقتضي السنة المتقيدين بحبلها . وورد من ذلك مالا مطعن فيه من طرق كثيرة .

وسنزيد إيضاحا لهذا المقام في الكلام علي ما تم للشيخ رضي الله عنه في الترجمة بعد هذه .

ولما كثر الداخلون فى عهد هذه الطريقة وكثر أيضا الدخلاء فيها وهم أصحاب أغراض ، وكثر المتبرعون على الزاوية فى الإنفاق علي الضروريات التى لابد من

القيام بشؤونها، من استنارة وإعانة بعض الفقراء من الإخوان، وإصلاح ما تتوقف الزاوية عليه من بناء وغيره، ومع ذلك يتوفر مال له بال، تعين نصب ناظر للزاوية لحفظ ذلك حتى يصرف في مصرفه باتفاق مع أعيان الإخوان الذين تحصل الثقة بهم. وكانوا بالزاوية الفاسية، يكاتبون أولاد الشيخ رضي الله عنهم فيما يرجع لذلك إن اقتضى الحال ذلك، فتصدر لهم منهم أوامر. حيث إن النظر لهم شرعا فى مثل ذلك، عملا بالعمل الفاسي الجاري به الحكم، حيث يقول فيه ولبنيهم صدقات الصالحين. ثم اقتضى نظر بعض النائبين عن أولاد الشيخ الذين لهم النفوذ فى الزوايا المنسوبة للشيخ رضى الله عنه، نصب مزارات تجمع فيها الزيارات، حتى تستعمل فيما تقتضيه المصلحة المنوطة بالزاوية أو بما يختص بهم من الأغراض، ولا يبعد أن يكون صدور ذلك من أولاد الشيخ رضي الله عنهم، بإيعاز من بطانتهم التي تهتم بمثل ذلك. وقد علم أن كل بطانة لها مقاصد تتوصل إلى من تلازمهم لما يقضون به أغراضهم وأغراضها. وقد استحسن الأحباب الذين يهمهم إضاعة المال نصب هذه المزارات واستنكف من ذلك بعض المقدمين الذين هم ببعض الزوايا بحسب ما جال فى مخيلته، وغالب من استنكف من ذلك إنما هو لاتقاء ما يتقوله المتقولون في ذلك، ولا تسأل عنهم وما يقولون. ومنهم من كان معتادا للاستبداد بمدخولات الزاوية، لصرفه فيما قد اقتضاه نظره من غير احتياجه إلى إذن أولاد الشيخ فى صرف ذلك في مصرفه. ومنهم من يستولي على ذلك، ويراه ما سبق به للزاوية إلا إليه سيما إذا تظاهر بمظهر من يقصد للزيارة لخصوصية اختص بها ومزية انفرد بها. وغالب الإخوان أصحاب نية يميلون إلى من شموا منه رائحة الفتح فى الطريقة، أو عنده من أسرار الشيخ رضي الله عنه ما يقضي بمزيد احترام لدى المعتقد فيه، وينتقد عليه فيه غيره حتى من ربطته معه الطريقة بحبلها، لما يراه من إقبال الناس على هذا الممتاز، بما قام به فى الزاوية التي تصير تنسب إليه. ولا تسأل عما يقوله أو يتقوله عليه أحبابه أو حساده أصحاب الأغراض، فى فتح هذا الباب الذى يعسر سده، ويدخل المنتقدون منه إلى الطريقة بإطلاق الألسنة بما يوافقهم عليه المحق والمبطل فيها وفي غيرها مما هو فى الحقيقة ليس من الطريقة فى شيء.

فاتخاذ المزارات في الزوايا وانتصابها فيه مصلحة لأبناء الشيخ رضى الله عنه راجعة اليهم . ولا يبعد أن يكون مقصودهم كف الأيدى المترامية على ما لا حق لأهلها فيه ، حتى لا يضيع المال الوارد فى حقه : « إن الله نهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » . سيما وقد تبين للزائر الذى يتبرع بما يتبرع به ، أنه يتبرع بذلك علي أولاد الشيخ رضى الله عنهم ، وهم المقصودون بزيارته التى بذلهـــا ، فانحصرت نيته فى هذا المقصد متحققا بأن الشيخ رضى الله عنه لم يصله شيء من ذلك لكونه في عالم آخر حيث إنه انتقل لعالم البقاء . فلا ينبغى لأحد ان يتصرف في ذلك بغير إذن الموهوب لهم ذلك ، وإن كان فى صفة صدقة ، ولكن لا تسمى بهذا الاسم وإنما يطلق عليها اسم زيارة حتى لا تستنكف أنفس أولاد الشيخ من قبولها . ولا شك أن من أخذ منها شيئا بغير إذنهم فكأنه أخذ للشيخ ماله . ويكفي في توبيخ آخذه قوله رضي الله عنه طبق ما بلغنا : من أخذ لنا شيئا فذاك حظه منا . فلم يبق وجه جميل لمن يأخذ فى زوايا الشيخ رضي الله عنه شيئا إلا من أخذ ذلك من يد مكرم له بهديته ولم يطلب منه أن يضعها في المزارة أو مصرف آخر ، فحينئذ العمل علي ما يقصده المتبرع بذلك فلا ينبغى لرجل بيده شيء من ذلك أن يستعمله فى غير ما قصده منه دافعه اليه .

وكذلك من جمع شيئا من الزيارات باسم أولاد الشيخ ، فهو مؤاخذ به لا تبرأ ذمته إلا بتمكينهم منه ولو بوضعه فى المزارات التى يصلهم مع التوبة من العود لذلك . وما أخذه لذلك من غير إذنهم ولا علمهم بما صنعه فإنه لا ينقطع عن الطريقة ، وغاية الأمر أنه أخذ مال الغير بوجه لا يقبل فيه له اعتذار ، فإن الطريقة شيء وما صدر من هذه الأمور شيء . فلم يبق للمنصف وجه للانتقاد بمثل هذا على الطريقة بعد ما انكشف له عنها وجه الحقيقة ، ولا كلام مع غير المنصف . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

## الـــكلام على المـــآثر المنسوبة للشيخ رضى الله عنه وما يتقوله المتقولون فى ذلك

إعلم أن التبرك بمآثر الشيوخ لا ينكره إلا من لا اطلاع له على ما ورد في السنة المطهرة ، وما جرى عليه عمل السلف الصالح مما هو مشهور ، وفى كتب العلماء المقتدى بهم مذكور . حتى إن بعض من يقتدى بهم، يتخذون الأماكن التي جلس بها أهل الله أو مروا بها، مزارات يتبركون بها فيجلسون بها كما جلسوا ، ويمرون بها كما مروا ، ويصلون فيها ويعملون فيها مثل عملهم. ولا بدع فى ذلك، حيث ورد مثله فى السنة . فقد كانت الصحابة رضى الله عنهم، يتبركون بما يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه إذا تنخم نخامة، أو بصق بصقة إلا وتبادروا إليها ، يتمسحون بها على وجوهم وأطرافهم تبركا بذلك . وطلب منه بعض الصحابة أن يصلى له فى محل يتخذه مصلى . وألقى بردته على كعب بن زهير فباعها بثمن له بال ، ونحو ذلك .

ولا ينبغى أن ينكر مثل هـــذا إلا من حيثية ما يتقوله المتقولون على بعض الشيوخ ، فى انتحال المآثر ونسبتها للمعتقد فيهم ، بما يفتح فيه أفواه المنتقدين المدعين الإصلاح للدين ، وبالأخص فيما يتقوله بعض أصحاب الأغراض الذين يدعون الحصول على شىء من تلك المآثر ، ويشيعون فضيلة ذلك بين العامة والخاصة . وأهل النية بين الناس كثيرون، فينخدعون بالله لهؤلاء الخادعين المدعين للخصوصية . فتجد كثيرا من المعتقدين فى ذلك ، يبذلون النفس والنفيس لمن يدهم شىء من ذلك ، فى شراء ذلك منهم ، أو يطلعونهم على ذلك ، ليتبركوا به . وكل يعمـــل على حسب اعتقاده .

وغالب من يتقول على الشيوخ في ذلك ، يقصدون الأماكن البعيدة ، ويستولون على من كانت له نية فى مثل ذلك . فيختلقون من ذلك ما شاؤه من كون هذه مأثرة من مآثر الولى سيدي فلان وسيدى فلان ، بحسب من يرونه يميل

إليه ذلك المعتقد ، حتى إن منهم من كان في غير طريقة من الطرق ، يتقول على شيخ من شيوخها لم يكن له انتساب إليه .

ولا تسأل عن أصحاب الأغراض فى طريقتنا الأحمدية التجانية . فمنهم من يزعم أنه قد حصل على هذه المـأثرة بإرث من فلان ، أو شرائها من فلان ، أو وجدها عند فلان . فيقول هذه نعل من نعال الشيخ ، أو هـذه سبحته اليسرية التي كان يذكر بها ، أو حبة منها . وهذا خيط الإبر الذي كان يشده على عمامته . أو هذا عكازه الذي كان يتوكأ عليه ، كل من أخذته بيدها عنـــد وجع الولادة تلد في الحين . وهذا شعر لحيته أو رأسه . وهذه نظارة كان يضعها على أنفه عند القراءة أو الكتابة . وهذه سجادته التي كان يجلس عليها للذكر أو للصلاة . وهذا برنوسه وهذه جبته التي كان يلبسها . وهذا طرف من إزاره الذي كان ينشر بين يديه حال قراءته للوظيفة . وهذه خشبة من صندوقه الذي كان يضع به حوائجه . أو التابوت الذى نقل فيه من قبره . أو تراب من قبره حين أخرج منه . أو هذا ماء من زاويته ونحو هذا مما يستلفت أنظار المعتقدين ، ليتبركوا منه بذلك ويأخذ في مقابلة ذلك الهدية منهم . وكلهم أصحاب أغراض وقليل من صدق الله فى ذلك . والعجب من المتحلين لذلك ، إذا رأوا من الناس إقبالا على التبرك بشىء مما لديهم من ذلك ، يبخلون عليهم بإظهاره لهم . ويزيدهم حرصا عليه ، منعهم منه . إلا إذا مكنوه بما يطلبه منهم . مع أنه يظهر ذلك لهم أولا بلا طلب ، حتى يشيع ذلك أنه عنده . ويلطخ ذلك بأنواع الطيب ليستهوي به قلوب العامة . وجلهم مفتر كذاب .

وتجد المختلق لذلك لا يتظاهر عند العارفين به بمثل هذه المظاهر ، ويكتم سره إلا إذا خلا له الجو بين غير العارفين به وبأحواله ممن لهم اعتقاد في الشيخ ، فينال بذلك مقصوده . فتارة يبيع ذلك لهم . وربمـا يتكرر منه البيع لشيء من نوع ذلك ، حتى كأن لديه خزين مملوء بهذه المآثر ، التي يتقرب إليه في التبرك بها مثل هؤلاء ، يبذل ما يرضى هذا المختلق . وربمـا تكون المـأثرة صحيحة ، ولكنها في يد بعض من يتعيش بالاستعطاء ، فيسيء الناس به ظنا ، ويفوتهم التبرك بذلك ،

لما داخلهم فيه مما يداخلهم فى أمثاله . ومع ذلك فتجد كثيرا من ذوى الفضل ممن جبلوا على حسن الظن وجميل الاعتقاد ، فلا يطردون من أتى إلى محلاتهم أو حضروا معه وعرفوا مقصوده ، فيحسنون إليه . إلا إذا نسب للشيخ مالا يليق به ويفتح بابا من أبواب النكير ، فحينئذ لا يسكتون ولا ينبغي السكوت عنه انتصارا للحق ودفع الباطل المحرك لنار الفتنة بالانتقاد والنكير . وحسبنا الله ونعم الوكيل مما يصدر من هؤلاء القوم .

وقد تحقق لدى أهل العلم الصحيح والعقل الرجيح ، أن المآثر التي عليها علامة الانتحال وما يحصل بسببه القيـــل والقال ، هي التى يتخذها من هي عنده طريقة للتكسب بها في غالب أحواله . وينتقل بها من هذه الزاوية إلى هذه الزاوية ، ومن هؤلاء القوم إلى هؤلاء القوم ، ويستظهر بها لديهم مستخرجا منهم بها من جيوبهم ما تقربها عينه كما قرت بالتبرك بذلك أعينهم .

ولسنا بمنكرين لوجود مثل هذه المآثر التى هي حقيقة بيد بعض الإخوان ، فلقد تبركنا بمثل ذلك حتى صار عندنا معرفتنا بخط يد الشيخ رضى الله عنه مثل معرفتنا بخط يدنا ، وكذلك خط يد بعض أصحابه كالخليفة سيدى الحاج علي حرازم برادة ، والواسطة المعظم سيدى محمد بن العربى الدمراوي وغيرهما بتكرره لدينا مما لا يداخلنا فيه شك ولا ارتياب . وقد اطلعنا على دلائل الخيرات بخط يد الشيخ رضي الله عنه ، نسخه وهو ابن تسع وعشرين سنة . وتبركنا بجل ما ذكرنا من تلك المآثر . فجلسنا في محل جلوسه ، وتبركنا بالدخول لخلوته بدار المرايا التي كان يسكن بها بحومة زقاق الرواح من مدينة فاس . وجلسنا على سجادته بها . وتبركنا بسبحة كان يذكر بها . وقبضنا على مقبض عكاز كان يتوكأ عليها . ونحو ذلك مما تبركنا به .

وقد رأينا كثيرا ممن يقصدون جمع المآثر ينسب للشيخ أمورا لا صحة لها ؛ من شعر وخط يد وبرنوس وجبة وحبل عمامة ونحو ذلك مما رواه هيان ابن بيان عن مثله فى نسبة ذلك للشيخ وبعض خواص أحبابه . ويتقول في ذلك تقولات

لا صحة لها . وبعضهم يقول حزنا ذلك من عند سيدي فلان ؛ وهو حازه من دار الشيخ ومن أولاده ، ومن بعض أولاد أصحاب الشيخ من عين ماضي أو أبي سمغون أو من تماسين من حفدة أولاد القطب سيدى الحاج علي التماسينى رضي الله عنهم ، سيما إذا كان قد تجول بتلك النواحي . فلا تسأل عما يقوله ويتقوله . فلا ينبغى الثقة بهم فى ذلك ولا تستغرب منهم زيارة الخلوات التي كان الشيخ رضي الله عنه يتعبد بها في قرية عين ماضي وأبى سمغون ؛ وما كان الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربى الدمراوى يدخلها للذكر الخصوصي ، لاجتماعه برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الأماكن ، وبشرشال من القطر الجزائري ، ونحو ذلك من الأماكن التى كان يتعبد فيها الشيخ رضى الله عنه وخاصة أصحابه . فكثير من ذوي الأغراض يقصدون تلك المزارات ليتخذوا الوصول اليها وسيلة لقضاء تلك الأغراض ، كما يقصد غيرهم غيرها بما يفتحون باب القيل والتقولات ، وذلك كله ليس من الطريقة في شيء فلا معنى للانتقاد على الطريقة بشيء من ذلك . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

## الكلام على اتخاذ بعض الإخوان يوم ١٨ من كل صفر موسما لنزول الشيخ رضى الله عنه في القطبانية الكبرى حسب مشهد ذكروه فى ذلك

قد تقرر فى طريق الصوفية رضى الله عنهم ، أن من العارفين من يكون ولياً ولا يعرف مقامه الذى هو فيه بين الأولياء . ومنهم من يتحقق بالمقامات التي يحل فيها في الترقي والنزول . ولكل أحوال تقضى عليهم بكتم ماحصلوا عليه ، أو إفشائه على حسب التجلى الذي تجلي الحق به عليه ، فكان من الشاكرين أو الصابرين . ونحوهم من أهل المناصب في الولاية من القطب الأكبر إلي أصغر منصب في الولاية فيعرف ساعة حلوله في ذلك المقام ، وساعة انتقاله إلى ما هو أعلى أو أسفل .

وللأولياء مقاصد فى إعلام خواص أحبابهم وغيرهم بالمقامات التي حلوا فيها ، إما ليزيدوهم بذلك حسن اعتقاد فيهم ليقتدوا بهم ، وفي ذلك عندهم فوائد نافعة

الجميع . وإما لينفروا بذلك من لم يكن النفع مقدرا لهم على يدهم ، فيحرمهم الله منهم بسوء الظن ونحو ذلك . وفى ذلك أسرار خفية ، لا يدركها إلا القليل ممن صفت مرآتهم ، فسلموا لأهل الله فى كل ما يخبرون به ، فيقتدوا بهم ويعملوا بعملهم الصالح ما دام جاريا علي المنهج الشرعى ، وإلا وقفوا علي الحياد إن أرادوا السلامة . ولا عليهم إذا لم يقتدوا بهم في ذلك ، بل الأولى له أن لا يقتدي بمن زالت شريعته عنه . غير أنه يترك الإنكار عليه . ولقد نصح الشيخ الأكبر مخاطبه بقوله :

لا تغترر بالذى زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

ولما كان الإنسان كيف ما كان تشمله العناية ، ويختص بمواهب ربانية من غير تحجير علي الحق فى منح هذا ومنع هذا ، كان غير بعيد من تولي الحق له . ولايسيء الظن به إلا من لا يبعد أن يكون محروما من بركة أهل الله . فتصديق المدعى للولاية أولى من تكذيبه . وترك الأخذ عنه أولى من الانتقاد عليه . والوقوف مع الكتاب والسنة أنجى وأنجى في حق العارف بما في طى ذلك .

ولا يصح الإنكار علي المتظاهر بالولاية ، إلا ممن تحقق بما تقرر في الأصول والفروع لدي سائر المذاهب . وإلا كان علي خطر فى إنكاره وانتقاده . ولقد كثر الانتقاد ممن حصلوا علي بعض مبادىء العلوم الظاهرية علي الصوفية . وعظمت الرزية بتداخل من لا نصيب له حتى من العلوم الرسمية ، بتظاهر جل المتجرئين من العامة فترى العلماء ، بل الجهال ، أسكتوا العلماء بألسنة حداد ، وشقاشق فوق الحد المعتاد ، وليسوا من العارفين بالمنكر ولا بالآمرين بالمعروف . فتجرءوا على الطرق وأهلها ، ووجدوا فيها مجالا للقول فقالوا ، وتقولوا علي من تقولوا ، وجروا الذيل علي من تقول المتقولون عليهم ، فلم يراعوا فى مؤمن إلا ولاذمة . ولو أنصفوا لتوقفوا أو وقفوا ينظرون لوجه الحق في مرآة الحقيقة ، بنسبة المنكر لناقله عن قائله ، لا لقائله دون ناقله . فإن المتقولين كثيرون فلا معنى لإطلاق الألسنة في المتقول عنه وهو برىء . وأعداء البرءاء كثيرون .

ألا ترى إلى طريقتنا الأحمدية ، التي لا زلنا نصرح أن المدار فيها على الورد والوظيفة وذكر الجمعة في السلوك على ذلك للتقرب للحق بعد القيام بالمفروضات على الوجه الأتم كما هو من شروطها ، والشيخ رضي الله عنه فيها كالمقدم لتلقينها ، لأنه مقدم من النبي صلى الله عليه وسلم لتلقينها كما هو غير منكر عند أصحاب الصدور السليمة ، العارفين بما للأولياء من المقامات فى الإرشاد وإقبال الرسول عليهم ، أما المنكر للعبشرات فلا كلام لنا معه ، ومع ذلك فقد تقولوا على هذه الطريقة ما بينا بعضه لطالب الوقوف على الحق فيها ليكون على بصيرة من أمره فيها ، غير أن الجهال فيها أكثر من العلماء العارفين بالمتقولات التي تقولها أصحاب الأغراض ، ففتحوا أبوابا للمنكرين الذين لم يحصروا إنكارهم فيما يستحق أن ينكر من العامة ، ولكن شوهوا خلقة الفضيلة ، وصيروا الحسنة سيئة ، والعذر لهم كونهم ليسوا مهيئين للسلوك على مناهجها ، وقد قال الشيخ رضي الله عنه : سائق السعادة يسوق أناسا لهذه الحضرة ، والصارف الإلاهي يصرف عنها من ليس من أهلها .

وإنا لنرى مما هو محدث فى الطريقة ، إتخاذ يوم ١٨ من كل شهر صفر من كل سنة موسما ، كما يفعله بعض الإخوان اعتمادا على ما تقوله على الشيخ رضي الله عنه بعض أصحاب الأغراض ممن أشرنا إليهم من المقدمين وغيرهم فرحا بحلول الشيخ رضي الله عنه فى مقام الختمية العظمى في تلك الليلة بعد ما انتصب في منصب الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوائل محرم عام أربعة عشر ومائتين وألف ، حسبما رمز له في المنية بلفظ رشيد من قول ناظمها رحمه الله :

| | |
|---|---|
| وفى المحرم غدا غوثنا رشيد(١) | خليفة عن المهيمن المجيد |
| أعطى ذاك شيخنا بعرفه | حكاه من حققه وعرفه |
| وبعد شهر وليال ارتقي | إلى مقامه العزيز المنتقي |
| مقامه المكتوم عن كل الورى | سوي النبى ما وراءه ورا |

(١) لو قال : عام رشيد لظهر تاريخه بحساب الجمل من لفظة رشيد ١٢١٤ .

ولم يعتمد صاحب البغية رضي الله عنه على ما أشاعه المتخذون لهذا الموسم في هذا اليوم والليلة ، ولم يعرج عليه في شرحه لهذه الأبيات ، غير أني وقفت في بعض رسائله على استفهامه للمقدم السيد بلقاسم بصرى المكناسي عن ذلك ، ولم أقف على جواب المقدم المذكور . ولا شك أنه أجابه . فإن اتخاذ الموسم في ذلك اليوم من البدع في الطريق ، وإلا لنقله عنه في البغية .

ونص المقصود من الرسالة المشار لها بعد كلام : وهنا نازلة قد أحمت رق أعتابكم غاية وهي : أنه بلغنا أنه شاع بين ساداتنا الفقراء الكرام في سائر البلدان، التحدث بأن سيدنا رضي الله عنه وقدس سره ، نزلت عليه القطبانية في ١٨ صفر الخير ، وينقلون عنه أنه قال : لو علم الناس ما في ذلك اليوم لاتخذوه عيدا . فصاروا يحتفلون له بالاجتماع فيه وجعله موسما ، ونحن لم نر علمكم على هذا ، ولا سمعنا منكم قط ما يشير إليه . فبالله عليكم أن تكتبوا لأهل زرهون وغيرهم بما هو في كريم علمكم في ذلك . وتكتبوا لنا ما نعتمده فيه ونكتب فيه لإخواننا ، فإن بعض من له الولوع بتتبع عورات الطريق ، قد اتخذ ذلك تنقيصا في الطريق، وقال هذا نيروز أوتشبه بأهل النيروز . ونحن لم نقصر في رد ذلك بالمشافهة لمن يذكره لنا . لكن لم نرد أن نكتب فيه مع وجودكم ، لما في ذلك من الافتيات عليكم والتقدم بين أيديكم . فبالله عليكم إن كان الأمر عندكم على ما هو عندنا من تنزيه ساحة سيدنا وطريقه عن مثل هذا ، أن تتداركوا هذا الخرق ، فإن كلامكم هو الذي يحسم المادة فيه. وإلا فلا يخفى عنكم أن الناس دب إليهم الداء من قبلهم في مثل اتخاذ بعض الأمكنة والأزمنة مواسم وأعياد . ولا يخفى عليكم ما في ذلك والسلام هذا بأتمه على جميع ساداتنا الفقراء عموما ، وخصوصا ولدكم الفقيه سيدنا بلقاسم وإخوته الخ .

وكتب بعد ذلك لولده السيد بلقاسم المذكور برسالة بطرتها ما نصه : وكتبنا لسيدنا والدكم العلامة قبل هذا كتابا ضمناه الإعلام عما أحدثه بعض الفقراء في بعض البلاد ، كسوس وغيرها ، من اتخاذ اليوم المعلوم من صفر عيدا يجتمعون فيه بالزوايا ويحتفلون له بالأطعمة والتباهي بها وغير ذلك حتى وقع ذلك بزاوية مراكش

لعجز الفقير وعدم وصوله ذلك على ما هو عليه . وقد سمعت أهل زرهون منهم من يقول به أو يفعل ذلك عندهم أيضا ، ولا كلام لنا فى كون ذلك اليوم وقع فيه كذا من الفتح ، ولا فيما يزعمونه من ثبوت التنويه به ، مع الوقوف مع السنة وعدم تخطى حدودها ، وإنما الكلام عندنا في هذا الاجتماع على هذه الصورة وجعل هذا اليوم موسما وعيدا . ولا شك أن هذا من البدع المحرمة ، وهو رد على مبتدعه ملعون مبتدعه والمقر له عليه . وفي الحديث : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . اهـ ففيه أى من ابتدع بدعة لا توافق الشرع فإثمها وعملها مردود عليه ، كما صرح به شراح الحديث .

وفى الحديث أيضا : من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله .

وقد قال سيدنا رضي الله عنه : إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع الخ . كما لا يخفى عليك وفى علمكم ، أن القطب أبا القاسم الغازي كان يحدث أصحابه بأن القطبانية نزلت عليه تحت شجرة بمحل كذا ، وامتنع من تعيينها تحرزا من قصدها بالزاوية والتعظيم وهو بدعة . وإخفاء شجرة الرضوان حتى عمن حضرها من الصحابة رضي الله عنهم كاف لمن يعقل . وقد قال بعضهم ، إخفاء ليلة القدر لئلا يشتغل الناس بالعمل فيها بمجاوزة الحد فيه مع إهمال غيرها . ومثل ذلك قيل في إخفاء الاسم الأعظم ، إلى غير ذلك : وقد أعجزنا الحال والضعف عن الإفصاح بما فى ضمائرنا . لكن مقصودنا الإعلام لسيدنا المقدم بالواقع ونظره أوسع في ذلك . انتهى المقصود من ذلك . ولم نقف على جوابه على ذلك .

والذي عندى فى هذه المسألة ، أنها من المنقولات والمحدثات فى الطريقة . وقد بنوا عملهم على ما وقفوا عليه فى بعض المشاهد المنسوجة على المشاهد التي ألفها الخليفة سيدى الحاج على حرازم برادة ، وهي عندهم في نظرهم من الذخائر العظيمة ، مع أن ما هو من هذا القبيل لا دخل له في الطريق ، وإنما هو من المستغربات التي

ولع بجمعها والاعتماد عليها، من لا معرفة له بالطريقة وحسبه الوقوف على التقاييد الملفقة والتقولات المزوقة، من غير استناد على سند فيها. فالأولى بالمريد الصادق عدم الالتفات إليها، ولا يكثر سواد المبتدعة، سيما إن كان من طلبة العلم الذين يكون البعض منهم قدوة يقتدي به في مثل ذلك إذا حضر الاحتفال به. ولا ينبغي أن يفضي به إنكاره هذه البدعة، إنكار حلول الشيخ رضي الله عنه في ذلك المقام الرفيع، فإن منصبه لا تتطرق اليه الأوهام من المصدقين في الأولياء الكرام. وحسبنا الله من تكذيب أهل الله فيما يقولونه مما يبرهنون به بالبرهان الأني عن أنفسهم وعن مقاماتهم، اقتداء بالنبي عليه السلام القائل: أنا النبي لا كذب. وفي هذا تبصرة للمهتدي والمقتدي وبالله التوفيق.

## تذييل في كون ما استند عليه المتخذون لليوم المذكور موسما من المشاهد مضطربا في نفسه غير موافق لليوم المشهور

قد نقلنا من خط من زعم أنه نقل من خط الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة مشهدا في حلول الشيخ رضي الله عنه في مقام القطبانية العظمى ونزولها عليه بعرفة، حسبما شاهده ذلك من مشاهدة ننقله هنا، وإن كنت تحققت بأنه متقول على الخليفة المذكور، ليكون مطالعه على بصيرة من كون هذا اليوم ليس هو اليوم المحتفل فيه بذلك الموسم. ونصه بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحمدلة. وبعد، فقد قال من عاين الأمر رضي الله عنه في ليلة الأحد الثاني عشر من المحرم فاتح عام أربعة عشر ومئتين وألف بعد نصف الليل بساعة ونصف أنزل سيدنا رضي الله عنه مقام الخلافة العظمى وأعطي هذا على جبل عرفة قبل الفجر. فأخذ سيدنا رضي الله عنه بيدي ومشينا خطوات قليلة فإذا نحن على الجبل المذكور وليس مع الشيخ أحد سوى خليفته، وإذا بنور أخضر نازل من عند الحق مثل المصبحية الكبيرة، حتى نزلت على رأسه مثل الشاشية، وهي باقية على رأسه إلى الآن، وهي علامة على نزوله مقامه الخاص به رضي الله عنه. ثم رجعوا من الجبل إلى مكانهم في ساعة قليلة والسلام. ه. فعلامة وضع هذا المشهد

لا محة عليه من سائر الوجوه فلا يعتمد فى مثل هذا الأمر عند الواقفين على قدم الجد في سلوك الطريق الأحمدى وفيه كفاية والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

الكلام علي اجتماع بعض الإخوان فى آخر أربعاء من صفر
وما يفعلونه من الصلاة جماعة علي هيـــأة خصوصية .
وكون ذلك من البدعة فى الطريقة الغير الموافقة للسنة المحمدية
وهو من التقولات فيها علي الشيخ وأصحابه .

مما رأيت بعض الإخوان يعمل به فى آخر أربعاء من كل صفر ، اجتماعهم في وقت ضربوا فيه موعدا للاجتماع الخاص بهم للصلاة جماعة . وهذه الصلاة تعرف بصلاة آخر أربعاء صفر ، ليدفع الله عنهم بها كل مكروه ينزل فى ذلك اليوم .

أما هذه الصلاة في حد ذاتها ، فقد صح لدينا عن سيدنا رضى الله عنه كان يفعلها ، ويأمر أصحابه بصلاتها فى الوقت الذي تحل فيه النافلة ، وهي معروفة بين أصحاب الشيخ رضى الله عنه . وقد ذكرت فى الجواهر الخمس . وجميع مافي هذا الكتاب كان الشيخ رضى الله عنه يعمل به في خاصة نفسه ، بقطع النظر عن كون هذه الصلاة بدعة أو غير بدعة مما لدينا الإذن فيه فإنى بحمد الله كما قلت فى نصيحة الإخوان :

فإنى نجانى حقيق محقق      لما في طريقي من كمال ونقصان
وأعرف حق الحق فيها ولم أحد      عن الحق فيها ماحييت لخذلان

والأمر الذى يهمنا الآن، هو اجتماع هؤلاء الإخوان لصلاتها جماعة، ويعدون ذلك طاعة وما هو بطاعة . بل لا يبعد أن يكون فعلهـــا على تلك الهيئة مذهب لخاصيتها . فإنه لم يصح عن الشيخ رضي الله عنه أنه أوقعها جماعة ، ولا عن أصحابه المقتدي بهم فى الطريقة أنهم فعلوها جماعة . وليس فعلها بالانفراد في الخاصية كفعلها جماعة ، عند من يعرف الأسرار وما ينتجها من الأقوال والأفعال ، وما يؤدي إليه

ذلك من الإنكار ممن يتتبعون العورات ويزعمون أنهم على شيء ويحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولهذا يتعين ترك الاجتماع لهذه الصلاة ، فلا يصليها الاخوان جماعة . وأما صلاتها بالانفراد فقد فعلها الشيخ رضي الله عنه من غير إلزام منه لمريديه بفعلها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

## الكلام على منع الدفن فى الزاوية وما تقوله المتقولون فى ذلك :

لا تسأل عما يتقوله المتقولون فى منع الدفن فى الزاوية ، وكل واحد منهم ينفق مما لديه مما اكتسبه من الإثم بسوء الظن أو ما بلغه في ذلك من العلم بقول الشيخ رضي الله عنه : من يدفن فى الزاوية يمشي للنار . فمنهم من قال إنما أراد الشيخ أن ينفرد في زوايته ، ويختص بهذه المزية عن سائر الزوايا التي بمناس لكونها يدفن بها . ويعمل هذا على ما اقتضاه هواه . ومنهم من قال مقالة السفيه الذى لا يعبأ به في كونه قد انفرد بالدفن فيها مع أنه قال من يدفن فيها الخ . ولم ينظر هذا السفيه إلى أن المدفون فيها لم يصدر منه الدفن ، وإنما صدر ممن دفنه . ولم يوص الشيخ رضي الله عنه بدفنه حتى يكون له دخل في الدفن . على أن جميع أصحابه الذين حضروا لدفنه لم يحملوا قولة الشيخ رضى الله عنه إلا عن النهى والزجر . فالتغالي فى ثمن محل الدفن في زاويته ، مع مراعاته لحرمة المدفون ، وحرمة الزاوية من كثرة الدفن بها . ولو فتح هذا الباب ، لبيع القبر فيها بأضعاف أضعاف ثمنه فى غير الزاوية . ولو بيع القبر بها ، لكثر التقول عليه ، وعلى من يأخذ ثمنه ، ومن يتوسط فى الدفن ، وغير ذلك مما يؤدي إلى الانتقاد بالحق والباطل .

وعلى كل حال ، فمعنى يدفن من قول الشيخ ، من يأمر بالدفن ولو بالوصية فى دفنه . حتى لا يتجرأ أحد على ذلك .

ولعل ذلك الوعيد تلقاه من النبى صلى الله عليه وسلم فى مبشرة من المبشرات . وقد عثرت على مشهد فى قضية منع الدفن فى الزاوية . ولعدم صحته عندى لم أنقله هنا . وقد نقلت الأبيات التي كانت منقوشة قبالة باب الزاوية المشتملة على منع الدفن

فى الزاوية في غير هذا المحل من كتبنا . وقد ذكرها أيضا صاحب الافادة الأحمدية. فينبغي ترك الدفن فيها . ولا علينا فى المتقولين .

أما ما كان عزم عليه أولاد سيدنا رضى الله عنهم ، من نقله إلى عين ماضي ، وأخرجوه من قبره وجعلوه فى الصندوق الذي تبركنا به بالزاوية بفاس ، فكان ذلك عن اجتهاد منهم . وقد كثر التقول في هذا الأمر بما يتعين عدم الالتفات إليه . ولو تعرضنا لذلك لازداد قوة على الإنتقاد من يسيء الظن بالعباد . ومقصودنا تطمين النفوس التى تطيب بسماع الحق وبيان الحقيقة .

والحاصل أنه لا موجب للإنكار على منع الشيخ رضي الله عنه من الدفن بالزاوية ، والانتقاد على تهديده بالمشى للنار ، حتى يقال إنه لم يرد عن الشرع ، ومثل هذا لا يكون إلا عن المشرع . ولا للانتقاد على أولاد الشيخ رضي الله عنهم فى إخراجه من قبره بقصد الذهاب به إلى بلدهم . ولا على الإخوان الذين تعصبوا في منعهم من السفر به ، وردوه لقبره عن غير طيب نفس من أنجال الشيخ ومن معهم من خاصة أصحابه من قرية عين ماضي وغيرهم الحاضرين فى هذه الواقعة ونحوه . فالتقولات هنا ـ وإن كثرت ـ فلا عبرة بها . والله يوفقنا لما فيه رضاه .

### الكلام على ما اختلقه بعض عامة الإخوان من جريان الحليب من ضريح الشيخ رضي الله عنه وماتقولوه في ذلك

قد اشتغل بعض المنتسبين للطريقة التجانية ، بذكر مناقب لا أصل لها في جانب الشيخ رضي الله عنه وطريقته وأصحابه . ويتقولون من الكرامات ما يحرك الهوى بباعث الإنكار ، ممن لم يكن شاربا من مشربهم . وربما أخبروا بمضحكات لا شعور لهم بها ، فى مجامع من لا اعتقاد لهم . فيؤدي ذلك إلى القيل والقال . وربما أدى إلى التقاطع والتدابر فيما بينهم ، بمقتضى الجدال الناشيء في لا شيء من الجدال . وموجب ذلك هو ما يختلقه بعضهم ، ويتقوله آخر ويعينه على ذلك بعض المتغفلين من الإخوان . مع أن ذكر مثل ذلك لا فائدة فيه ، ولا نتيجة تنتج من

التنويه به . مثل ما يذكرونه من الكرامات التي شهد بها الجم الغفير من الاخوان من جريان الحليب من الضريح الشريف . فليت شعري ما معنى هذه الكرامة على فرض صحتها . مع أنها مستعملة باليد لا ينبغي أن تذكر إلا على سبيل بيان الحقيقة.

أخبرني من اطلع على ذلك ، أن بعض من له نية صالحة فى التبرك بمآثر الشيخ رضى الله عنه ، وحصول البركة عند ذكر الوظيفة والحزب الذي يقراء بالزاوية ، وحضور المتبرك بهم من الاخوان فى الزاوية المباركة ، عمد إلى وضع آنية ممتلئة بالحليب تحت القبة المشيدة على الضريح المغطى بالكسوة الموضوعة عليه ، وحين أراد إخراجها انهرقت ، فاندفق الحليب إلي الجهة المقابلة له من الضريح الذي كان في مقابلتها بعض الاخوان، فقاموا ليروا ذلك، فوجدوا الحليب مقبلا عليهم يجري إلى ناحيتهم . وقد انسل صاحب الآنية بآنيته متسترا حتي لا يلومه أحد على ذلك. فصاح صائح بعض المغفلين منهم ، أن الضريح الشريف يجري بالحليب . فتهافت الناس من زوايا الزاوية على المحل المهروق فيه الحليب ، فرأوا ذلك عينا وهو يزداد انتشارا . فصاروا يتبركون به . وجمع فى أوانى ، وحيث كثر طلاب التبرك زيد الماء فى الأواني ، وكل يأخذ منه ما يعده بركة . وشربوا من ذلك وشاعت هذه القضية على وجه الكرامة من غير اطلاع علي حقيقة الواقع . ولهـــذا لا ينبغى الاكتراث بمثل هذه القضية التي لا تعد من المناقب فضلا عن عدها من الكرامات وكم لها من نظير ، وقد شاعت وذاعت والحقيقة ماذكرناه . وقد وقفت علي كتاب وجهه بعضهم من سوس يسأل عنها وما معناها ، على أن القدرة صالحة لأكثر من هذا . ولكن أى فائدة في جريان الحليب فى محل غير مناسب له ؟ وكل ما يقال فى هذا الباب كله من التقولات لا فائدة فى ذكره من مناقب الشيخ رضي الله عنه وطريقته . والله الموفق .

الكلام على كون الطريقة غير مؤسسة على التصرف بالأسماء ونحوها من كتب حروز وفتح كنوز . وأن الاشتغال بذلك من شيمة البطالين ولا يليق بالمقدمين الصادقين الخوض فى ذلك ، ولا مساعدة من يريد منهم شيئا من ذلك

إن الطريقة المحمدية التي تلقاها الشيخ رضي الله عنه مشافهة عن النبى صلى الله

عليه وسلم ، يقظة لا مناما ، في المشهد الخاص الذى أكرمه الله به ، هي ما يلقنه المقدمون الذين تلقوا التقديم في تلقينها لطالبيها بأركانها المقررة وشروطها المعتبرة وليس ذلك بزائد على ملازمة الأوراد اللازمة ، بعد القيام بالفرائض التكليفية . وما زاد على ذلك فليس من الطريقة ، وهو من قبيل الفضل ، الذي يغتنم الفرصة في اقتنائه الحريصون على أعمال البر والمسارعة للخيرات . ومنه ماهو من قبيل الفضول ، الذى يوقع صاحبه فى التهلكة ، إما دنيا وإما دينا ، على مقتضي مااقترفه المتداخل بنفسه فى ذلك . وهذا الذى قلناه قد قررناه وكررناه فى غير ما محل ، ليتحقق كل الناس أن ما يشاع مما هو من قبيل ذلك ليس من الطريقة فى شيء . لأن الناس قد أكثروا التقولات على هذه الطريقة ، وأعانهم على ذلك جهال المقدمين ، والدخلاء فى المريدين الغير الصادقين . حتي كاد أن يكون تلك التقولات هي المقصودة من الطريقة التجانية .

ولم يكن عندهم معدودا فى حيز المفتوح عليهم فيهـا ، إلا من تظاهر بذكر الغرائب من الأذكار ، والإخبار بعجائب الأخبار ، وحكاية ما لا أصل له من المناقب والوقائع والمشاهد والتصرفات والمطالب العالية المدركة والتصرفات العالية بالأسماء والأذكار والأوفاق والحروف والأشكال ، والعزائم المسخرة للعالم العلوي والعالم السفلى ، والاشتغال بكتب الحروز وفتح الكنوز وغير ذلك من الاستطلاعات على الغيب ، وغير ذلك مما ينسبونه للشيخ رضى الله عنه ولأصحابه ممـا وصل لهؤلاء المقدمين الذين هم في الحقيقة عن الطريقة من المؤخرين .

وقد كان سيدنا رضى الله عنه ، يحذر من الخوض فى مثل هذه الأمور ، ويوصي أصحابه المجالسين له والآخذين عنه والمستفيدين منه والمأذون لهم بذكر الأذكار الغير اللازمة بعد اللازمة ، بعدم الاكثرات بهذه الأشياء ، الشاغلة عن المقصود الأهم ، من التقرب للحضرة الإلهية بالتودد للحضرة المحمدية ، بكثرة الصلاة عليها ، والعمل بمـا أمرت به والابتعاد عما عنه نهت . ولقد حذر كل الحذر من الاشتغال بمـا لا يعنى ، مما يشغل عن الله ولا تحمد عاقبته .

ولقد بلغه عن الواسطة المعظم ، سيدي محمد بن العربي الدمراوي ، ما يظهر التصرف به من الوفق الثلاثي المنسوب لأبي حامد الغزالي . وكان يستخدمه في وسط جماعته من الإخوان بالتنقير وهم ينظرون ، فيلتقطون من الدنانير الذهبية ما يقوم لهم بنفقة مدة من الأيام في النزهات والأفراح . فأمره الشيخ رضي الله عنه بالإعراض عن هذا الأمر ، وقال له : إن عدت إلى ذلك فلا شيء بيني وبينك . فأعرض الواسطة عن ذلك ولم يعد . وانكف الإخوان عن طلب ذلك . وما ذلك إلا لكون الطريقة مبنية على الجد فيها والاجتهاد في الأعمال الصالحة ، لا بإظهار مثل ذلك في العامة . ولا ينبغي الاشتغال بمثله في حق الخاصة .

ومثل ذلك كتب الحروز ، وتلقين الأذكار بقصد التصرفات النفسية وما يوصل للأغراض الشخصية ، ونحو ذلك مما يعد من أعمال المبطلين ، ويؤدي إلى سوء الاعتقاد فيهم ، وفيما يلقنونه من أذكار الطريقة المراد بها صرف الوجهة فيها للحق في العبادة الخالصة . فقد جبلت النفوس على الميل لمثل هؤلاء الذين يتظاهرون بتلك الترهات . حتى إذا لم يتوصلوا بمقاصدهم على يدهم ، أساءوا الظن فيهم . وربما أدى بهم الحال إلى رفض الأذكار اللازمة في سلوك هذه الطريقة . بقياس ما تلقوه عنه من ذلك على ما كان عنيهم به من إدراك أغراضهم . وغالب أحوال من يتعاطي هذا من المقدمين ، استعمال الحيل في التوصل لما في أيدي الطالبين لذلك من إخوان وغيرهم . فتجدهم يكثرون من المواعد في الإجابة ، ويختلقون من الموانع فيها كذا وكذا ، مما يظنون أنه يقنع هؤلاء الطالبين . ويستعينون على ما يتقولونه بانتحال أذكار خصوصية وأنها من خصائص الخاصة . ويزيدون في الافتراء ، ما يؤدى في الغالب إلى شر افتراق . وإذا نظرت إلى حال من أعرضوا عن الطريقة ممن كان يزاحم الإخوان فيها وجدت موجب ذلك هو ما عانوه من هؤلاء الدجاجلة ، وما عاينوه من أعمالهم وحيلهم للتوصل إلى أغراضهم ، من هؤلاء المغرضين المعرضين .

وقد حبب إلى أن أنقل طرف رسالة وقفت عليها مما كتب به هنا ، الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه إلى مقدم زاوية مكناس السيد محمد بن المقدم

السيد محمد بن قاسم بصرى المكناسي ، حين تم مقام والده المذكور فى تلقين الأوراد ، مؤرخة بثالث وعشرين جمادى الثانية عام ستة وتسعين ومائتين وألف ، يقول فيها ما نصه :

فعليك أيدك الله بالاقتصار فى سلوكك وتسليكك ، على الجادة التى كان عليها والدك رضى الله عنه . وليس ذلك إلا بالمحافظة على الورد اللازم ووظيفته وذكر الجمعة ، بالشروط المعروفة والآداب المعلومة . وكثرة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار على طريق الشكر والمحبة . وهذا كله ، بعد المحافظة على الصلوات المفروضة على الوصف المطلوب فيها شريعة وطريقة . ومن أراد من الإخوان أن يتعلق بشيء من الأذكار الغير اللازمة ، فإن كان دعاء كالسيفي ونحوه ، فليكن عمله فى ذلك على الامتثال ، متجردا عن الأغراض بكل حال . وإن كان غير دعاء ، فليكن عمله فيه على وجه العبودية لله تعالي بإخلاص الوجهة فيه إليه سبحانه ، مع إسقاط الحظوظ واللحوظ . ولا يعد من اللحوظ ملاحظة الثواب الموعود به ثقة بالوعد الصادق إذ ذاك من الإيمان بالغيب لامن الأغراض . كما لا يعد من ذلك أيضا ، قصد التحصين فى أذكاره المعلومة . لأن ذلك من التقوي بجند الله تعالي علي ماهو بصدده من التوجه إلى الله . وأما ماولع به الناس من قصد الخواص والتعلق بالدعوات والأذكار الغريبة فليس ذلك من طريقتنا فى شيء ، وإنما هو من بقيات الطريق ، التي تهوي الضلالة بصاحبها فى مكان سحيق . نسأل الله السلامة والعافية بمنه آمين ه .

وبهذا تعلم ماعليه بعض المقدمين الذين يتخذون مثل هذه الأمور حرفة ، ويلازمون الزاوية أو محلا خاصا بهم ، ليقصدهم العامة للتسبب لهم فى قضاء أغراضهم بتلقين أذكار وأسماء وءايات ، وكتب أوفاق وطلاسم وتلاوة عزائم ، ونحو ذلك مما ليس من الطريقة ويلطخون به جدرات الطريقة ، النقية من هذه الترهات ، ومن المضلين الذين ينبغى البعد منهم ، والتنبيه على كونهم ممن لايصح الاقتداء بهم ،

(م - ٥ حماية الحق)

لبعدهم عن مقام أهل التقديم الصحيح ، المحافظين على ما كان عليه الشيخ رضي الله عنه وأصحابه المفتوح عليهم ، والسالكين على المحجة التي لا يزيغ عنهـــا إلا هالك . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الكلام على مانقوله المتقولون من نسبة الطى فى الأذكار فى طريقة الشيخ رضي الله عنـــه . ويدعون به الخصوصية لأنفسهم بين العامة والخاصة . وبيان أنهم في ذلك من المتلاعبين .

إعلم أنه ظهر بين الاخوان . أوائل هذا القرن فى أواسط العشرة الثانية منه ـ جماعة ممن يدعون الخصوصية لأنفسهم والمزايا العظيمة التى يتوارثها فى زعمهم الأكابر من أهل هذه الطريقة، وهم فى الحقيقة أصاغر عن أصاغر من أصحاب الأهواء فيها ، الذين سولت لهم أنفسهم وزين لهم هواهم فيها ماقاموا به من الدعوي . وطريقنا المحمدية التجانية جارية على منهج الشريعة الواضحة ، الذى مافيه شك ولا ارتياب . ولا يتظاهر فيها أحد بالدعوي إلا فضحه الحق على رؤس الأشهاد ، مما لابد فيه من طرده من سائر الأبواب ، خصوصاً من كان منهم يعمل للأغراض الشخصية . وقد تفنن أصحاب الأغراض في الدعاوى العريضة ، مع الضعف الظاهر منهم والعجز عن الوصول لمطالبهم ، بما سلك فيه كل واحد منهم إلى الاستيلاء علي العقول الضعيفة أنواعا من الحيل .

ومن جملة ذلك ، مانحن الآن بصدد التنفير من التمسك بحباله الراشية والمطامع الواهية ، وهو ما تظاهر به بعض المدعين لطي الأذكار وبالأخص فى تلاوة صلاة الفاتح ، بحيث إن له سرا يطوى به ذكرها بالعدد الذى بين يديه فى أقل من طرفة عين .

ونحن لاننكر كرامة طى الأذكار كيفما كانت فى حق بعض الأولياء . فإن طى الزمان وطى المكان ثابت لدينا ، بما لا يزال في مخيلتنا مرسوما بما نعتقده من صحة ذلك ، كرامة فى حق من أعطاه الله ذلك . ويؤيده الدليل الذى صار لدينا كالمحسوس

بما تقرر لدينا وتكرر ، من كون ما كان معجزة في حق نبي يصح كرامة في حق ولي . فقد ورد كما فى الشفا وغيرها ، أن سيدنا داوود على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان يتلو الزبور ما بين وضع رجله فى ركاب مركوبه وركوبه . ولقد حكي العارف الشعرانى رضى الله عنه أنه تلى بنفسه القرآن في أقل من سويعة ، مرات . وأخبر ممن حصل له ذلك من أهل الله جماعة . ونحن نبت لدينا أيضا عن الثقات ، من حصول هذه الكرامة لسيدنا رضي الله عنه فى تلاوته للقرآن كله فى سجدة . وقد ذكرنا من حصل له ذلك بمحضره ، وهو الفقيه الصوفي صاحبه السيد أحمد جويد الطنجي فى ترجمته من كتابنا رفع النقاب .

ولا علينا فيمن ينكر مثل هذه الكرامة فى حق المفتوح عليهم . ولكن الذى يهمنا ، هو ما ادعاه جماعة من إخواننا ـ وهم ذووا عقول ـ بما صاروا فيه متلاعبين فى الأذكار وبالخصوص مثل صلاة الفاتح ، التي هي مفتاح أبواب الفتح الأكبر فى الطريقة ، ويدعى زعيمهم الذى يلقنهم الطى فيها ويتابعونه علي تهوره ، وهم لا يسردون واحدة بل تكفيهم النية أو يشرع فى تلاوتها بترتيل ثم يستغرق فى تلاوتها بترتيل ، ثم يستغرق فى تلاوتها حتي يجد نفسه قرأ منها ما ينويه من سرد الألوف فى رمشة عين . وهذا شي ليس من الطي المعهود فى شىء . بل الطي ، هو أن يذكر بذكره المعتاد بترتيل خاص من غير أن يسقط كلمة أو يدمج حرفا مع حرف . كمن يسمع تالي كتاب الله وهو حافظه من تاليه بكرامة الطى من البسملة إلي آخره في نحو دقيقة أو دقيقتين ، فيتسع الزمان لقراءته . وكأن السامع في ذلك الوقت المتسع المعتاد فى تلاوته ، ثم يرى الوقت لا يسع تلك التلاوة . كما أن المكان يطوي بالماشى ، فتطوى له الأرض فى نحو خطوة واحدة . وليس هذا بغريب ولا بعجيب في حق أصحاب الكرامات بخلاف ما عليه هؤلاء المدعون . وينسبون هذا من الأسرار المكتومة فى طريقتنا الأحمدية وهم من المتلاعبين فلا عمل علي عملهم .

وزيادة لايضاح نقول : قد كنت سألت شيخنا العارف بالله سيدى ومولاى أحمد العبدلاوي رضى الله عنه ، عن الطي فى الفاتح وغيرها فقال لى : ليس هذا من

طريقتنا في شيء ، وذلك عندما نزل في الزاوية الشريفـــة الكائنة بفاس ، أحد الموسومين بالفتح في الطريقة من إخواننا أهل شنجيط ، ويدعى بذلك الحصول على مقامات عالية ، واستولى على جماعة من الإخوان بما أسره اليهم من هذا الطى ، الذي صاروا به في تنافس ، مع كتمان حقيقته . وكل واحد منهم يزعم أنه حصل على السر الذى لم يحصل لغيره حتى تشوفت نفسي التلقي الإذن منه وأنا في ارتياب من أمره وحصلت بيني وبينه محاورة في ذلك وأنكرت عليه بعض ما تظاهر به من أقوال لا تقبلها عقول العامة ، على فرض كونها من أسرار الخاصة وهي بلا شك من الاختلافات التي تستهوي قلوب ضعفاء المريدين الذين يتشوفون للتحصيل على ماهو مستغرب . كقوله إنه يري الشيخ في كل شيء . وقد توصل إلى أن يبث سر رؤية الشيخ في روع من تلقي عنه سر طى الذكر . والعجب هو ما شاهدناه ممن جنحوا إليه من القول بقوله ، والتظاهر بما تظاهر به ، ويقولون إنهم يذكرون من الفاتح لما أغلق في طرفة عين الآلاف مؤلفة . وهم كاذبون لكيفية ذلك . حتى أخبرت بذلك شيخنا المذكور فأجابني رضى الله عنه بما أجابني به ، وأن هذا الطى لم يكن معروفا قيد حياة الشيخ . ولم ينسبه إليه أحد ، ولا قال به أحد من أصحابه بعده . وإنما الذكر الحقيقي هو تلاوة صلاة الفاتح بصيغتها المعهودة بترتيل وترتيب من غير إخلال بمخارج الحروف فيها واحدة واحدة إلى تمام العدد الذي يريد ذكره ذاكرها ، كما كان عليه عمل الشيخ وأصحابه . ولا التفات لغير هذا ، وإن كانت كرامات الأولياء في الطى لا تنكر ، ولكن كونه من الطريقة لا يذكر .

ولقد نصحت لبعض إخواننا ممن تلقوا عن السيد الشنجيطى المذكور هذا الطي في ترك القول به فصرح لى بأمور تدل على أن ماتمسك به مجرد أوهام في ذلك فرجع إلي الجادة بعد أن اشتغل بذلك . ثم أعرض عن ذلك الوهم الذى كان مستوليا عليه ، وحمد الله على رجوعه لذكر هذه الصلاة الفريدة على الوجه المطلوب .

ثم أخبرني شيخنا المذكور رضي الله عنه بأن رجال طريقتنا لا يبعد عنهم الطي الحقيقي بعد الفتح عليهم ، ولكن لا يتظاهرون به ، ويكون في بعضهم على سبيل

خرق العادة ، بما لا يخطر ببال . فمن ذلك ما يحصل للبعض من ذكرها وهو نائم والناس يسمعون لايفتر من ذكرها حتى يستيقظ . ومنهم من تذكرها جوارحه وهو يسمع ذلك منه . قال لى رضي الله عنه وإني لأسمع فى بعض الأحيان بنفسى من قلبي ذكر صلاة الفاتح لما أغلق وأنا مشتغل بذكر آخر . وقد واعدنى رضى الله عنه بأنه سيخبرنى بشيء حصل له ولكن حصل سفر منعنى عن تلقي ذلك منه . وسألت ولده الأخ الملامتى سيدي محمد العبد لاوي فقال لي : إنه أخبره بأنه انفتحت جوهرة الذكر فى قلبه ، فكان يسمع الذكر من قلبه وهو ساكت . وذلك من جملة ماحصل له فقلت : هذا عندى علم به ، فأخبرنى عما واعدني به فقال: لعله أراد إخبارك بمرتبة الولاية الخاصة التى حل بها ، وهي مرتبة لم يرد التصريح بها لنا . ولعلك لو كنت حاضرا من السفر عنده لأخبرك بذلك لما له من المحبة فى جانبك ولله الحمد .

ثم لازال يتلاشي أمر طي الذكر بين الإخوان الذين أخذوه عن ذلك الشنجيطى حتي تنوسى الآن أمره ، ولم يلتفت إلى هذا الطي فى طريقتنا الأحمدية أحد من خاصة المقدمين فيها إلا المولوع منهم بالتظاهر بالمستغربات المعدودة من قبيل التحملات وقد ذكر بعضهم لذلك صيغا يذكر منها عوضا عن ذكر صلاة الفاتح . وقال إن مرة واحدة منها تعدل الواحدة من صلاة الفاتح بكذا وكذا مرة . فمن ذلك هذه الصيغة اللهم صل على من اصلى بقضور الرحمان. فانظر رعاك الله إلي هذه المجموعة التي لا يفهم تركيبها ، ولا يعرف معناها ، ولعلها اشتملت على كفريات، وذلك مما لا ينبغى ذكره عند من شرح بنور الحق صدره . فإنها ليست من الذكر في شيء فضلا فى أن تنوب عن الورد اللازم والوظيفة خمسة وعشرين مرة منها . وما أرى هذه الصيغة إلا من تحيل بعض من يريد القضاء علي ذكر الطريقة المحفوظة بحمد الله إلي النفخ فى الصور .

ومن ذلك صيغة قيل إنها تقوم مقام سبعين مرة من صلاة الفاتح لما أغلق وهي هذه : اللهم صل على عين ذاتك الذى تفرعت منه الجميع وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . فهذه الصيغة لم تبلغنا عن أحد من خاصة أصحاب الشيخ رضي الله عنه وفيها

من اللحن ما يقضي بكون مختلقها من الجهلة الذين اشتغلوا بما لا يعني ، ولم يحصلوا على شيء يغني .

ومن ذلك ، صيغة ختمت بألفاظ عجمية لا يدري معناها ، فمن بسبب ذلك لا ينبغي ذكرها إلا على سبيل ردها وكونها من التقولات وهي على هذه الكيفية: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم عنب ذنن . فهذا من الزوائد التي لا تقبل في الطريق. ومثل ذلك الزيادة في صلاة الفاتح بشيء ، ولو كان مفهوم المعنى ، فإنه مذهب بخاصيتها كما سيأتي التنبيه على ذلك بحول الله .

تنبيه : مما وقفت عليه من هذا القبيل من الأذكار المتقولة على الشيخ رضي الله عنه ، مع الفضل المنوط بها المطوي ، ورقة مكتوب فيها بخط مزخرف يدل بصورته على أنه منتحل مكذوب للصبغة التي لبسها . ومضمن ما صدرها به أنك إذا أردت أن تدعو بدعاء جامع للأذكار ، فاقرأ هذا الذكر سبع مرات بعد أن تتوجه للقبلة طاهر البدن والثياب والمكان بخشوع قلب ، وانو ما تريد من آلاف الذكر ولو كانت قدر الرمل ، فإنها تجتمع على لسانك في طرفة العين من أي ذكر شئت ، فكأنك تلوته واحدة بتحصيل فضائله المترتبة على تلاوته وهذا هو الدعاء : بسم الله الرحمان الرحيم ، اللهم إني أناديك داعيا باسمك ونفسي بيدك وأنت المستعان لعبادك طالبا من بحر رضاك وعين بصيرتك التي لا تنام ، قيوم صفو الشهود واسع الرحمة وأنت أقرب من حبل الوريد ، كما قلت في ذكرك الحكيم ، اللهم إني أسئلك بعين عنايتك وبمستمان إعانتك التي لا تطاق أن تسخر لي ملائكة من كونك من بحر ملكوتك ووسعة أكوانك الفائضة على عبادك المهالين بأسمائك المحيطين بملكوتك أن تجعل لي عدد ذكرك قوة في لساني وقلبي ، وبقوتك ونور أسمائك تنطق جوارح جسدي مع لساني وعروق وعصبي ، ولا يعلم بها إلا من خلقها وسواها ، هو مصورها ينطقها نطقة واحدة بجمع ذكره ، وهو كذا وكذا ، ياجامع يامن قوله الحق وله الملك المحيط بإذا المحيط الملك الكائن بيده الكون كله ، سبحانه لا يطاق ذكره

إلا بقوة رضائه وعين بصيرته التى لا تنام ، واسع العطا جواد لا يعادله شيء من مخلوقاته ، صمد فى علو قدرته ، لايدركه بصر من مخلوقاته ولا نطاق قدرته . اللهم إنى أسألك بحق كهيعص حم عسق حم تنزيل طه طسم يس إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ، بكفاية لا تكفي ولا تمطل من جود واسع العطاء ، منطق جوارح النفس في أحوالها له الملك وله الحمد بقدر رضائه وكونه لا يعد ولا يحصيه إلا هو اللهم إني أسألك باسمك هذا محطمقر دموح إلا ما قبلت لساني بما نطق لك به من عطاء جودك ، ياجواد ياحنان أنت الذى وسعت كل شيء رحمة وعلما عالم الغيوب الزكى الطاهر من كل آفة ، تقدست بقدسك واستعنت بعين عنايتك التي لا تنام بحولك وقوتك تقويت بذكرك ، تنورت بنورك ، ياذا الجلال والإكرام واستكفيت بكفايتك التى لا تحصر ياجامع ياعادل وهو العادل على الملك والملكوت وهو على كل شيء قدير ، لم يعادله شيء من خلقه . اهـ .

فهذا الذكر مع ما اشتمل عليه ، من المتقول على الشيخ رضى الله عنه ، لا ينبغي نسبته إليه . فإن الأشياء المنتحلة ممسوحة من البركة . ولعل تأليف هذا الدعاء من بعض أصحاب الأغراض الذين يتظاهرون لعامة الإخوان بكونهم ظافرين بالأذكار الخاصة والأسرار التى تنطوى عليها صناديق القلوب من صناديد المقدمين ذوي الخصوصية . وتركيب ألفاظه يدل على ذلك . فالأولى عدم الالتفات إليه والاشتغال بصلاة الفاتح لما أغلق أولى من ذكره آلاف الآلاف . والله الموفق .

ثم عثرت في كناش الأخ الملامتي الأكبر سيدى محمد بن شيخنا العبدلاوى رضي الله عنه ، بخط يده ، في أسماء الطي للأذكار ، وقال إنه مروي عن العلامة ابن المشرى عن العارف سيدى محمد الغالي صاحب سيدنا رضي الله عنه قال العلامة المذكور : كنت ذات يوم جالسا مع سيدى محمد الغالى ، فقال لي يابن المشرى ، نعلمك خاصية مزيفة لجميع الأذكار ، وهي أسماء الطى ولكن اكتمها عن العوام سوى الخواص ، ولا تكتبها فى كتاب سوي من أعطاه الله منك ينقلها من لسانك لئلا يطلع عليها العوام والجهال ويتصرفون بها فى الأسماء فى النفع والضر وغيره من

جميع ما يظهر لهم ، واسم هذا الاسم ساعة الدليل و كنز المعارف ومجموع الجامع ونور الضياء . ولكن عزيز فلا يتصل به إلا من أعطاه الله التصريف والكشف على الحجاب ومشافهة سيد الكونين الطاهرة سيدنا ومولانا محمد البشير النذير صلى الله عليه وسلم .

وذلك إذا أردت أن تقرأ اسماً مثلا مائة مرة في السبحة من أي الاسماء ، تقرأ مجموع الجامع عشر بنية ماتريد من مائة أو ألف أو ألوف أو غير ذلك . مثلا تريد أن تقرأ اسمه السلام مائة الف ، إقرأ مجموع الجامع عشر مرات واذكر في السبحة مرة واحدة بنية مائة الف تصير مائة ألف بالخاصية . وإذا أردت أن تقرأ صلاة الفاتح ألف مره تقرأه مرة واحدة عند نومك ولا تزد يأتيك البشير النذير بلامعين وهكذا في جميع الأسماء . وداوم علي ذلك تبلغ مرادك في جميع ما تحب . وإذا أردت أن تقرأه عدد المراتب تنال مرادك وتحصل مرغوبك . وإذا أردت أن تقرأ الجوهرة سبع مرات بسبعة آلاف عند النوم بقصد رؤية الحبيب صلى الله عليه وسلم فكذلك وداوم عليها تنـــال مرادك . واترك الوساوس لأنه محل الخسران . وهذا الاسم لايوجد إلا عند ذوي الكمال من المحبين المخلصين المنورين بنور اسم الله . وإن كنت مريضا ولم تقدر علي الذكر وهذا سبب خروج هذا الاسم من عند محمد إذا مرضت عاما فاذكر ذكرك القائم بنية ما تحصي من العام من ذكرك للوجود مرة واحدة تجمعه وتسمي خالصا لاتعيده ولاتأخذ رأي أي الكتب ، لأن هذا السر محجوب وهو هذا الاسم الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم ومن الرحمن الرحيم تنزيل من الرحمن الرحيم ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله ٣ مرات ومن الله ولاغالب إلا الله ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين علي صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم ، ثم الفاتحة مرة ، ثم صلاة الفاتح مرة ، ثم سبحان الله والحمدلله ولاإله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ثم جوهرة الكمال مرة ، ثم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء ، اللهم إني أسألك بهذه

الصلوات على حبيبنا حبيبك ونبيك الكريم ، وبحق الاسم الذين يحيطون بعلمه ( كذا ) وبحق الاسم الذى لو اجتمعت أهل السموات والأرض لم يحصوا عدده ، ولا فضله ولا يقدروا على أنواره ، أن تجعل لى في لسانى كذا ملكا يسبح باسمك كذا وكذا ، وفي كل ملك كذا لسان وكل لسان يسبح باسمك كذا وكذا مائة مرة أو ألف مرة مع ذكر لسانى، ياعظيم الثناء الفاخر والعز والمجد والكبرياء فلا يزول عزه ، ثم صلاة الفاتح مرة ياوهاب يامن أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون إلى ترجعون ، إلا ما بلغت عهدى ومرادى بفضلك وسعة رحمتك ، يامن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، واسع العطايا ياذا الطول الجامع الوكيل الحق الظهير ، اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية الخ مرة ، سبحان الكافى الممدوح فى كل لسان الواجد فى كل مكان ، اللهم إنى أسألك من رضاك وتيسيرك ورحمتك ، أن تجمع ملائكة على عدد اسمك كذا وكذا فى لسانى وقلبى ، إنما جودك قريب إنما أمرك إذا أردت شيأ أن تقول له كن فيكون ، ياذا الجلال والإكرام ياأرحم الراحمين ، حسبي الله وحده ولارب غيره وتعظمت بأسمائه وتوكلت عليه وهو رب العرش العظيم ، سبح اسم ربك الأعلى إلى آخر السورة . اهـ .

ولعل الأخ المذكور نقل هذا من بعض التقاييد التى عثر عليها احتفاظا لما هو مستغرب من الأذكار المنقولة على الطريقة ، وقد كان سليم الطوية، في نقل كل ماعثر عليه بإخلاص نية ، فى كل ما ينسب لهذه الطريقة ، مع أن هذا شيء لا يصح فى الطريق ، ولا عمل عليه عند ذوي التحقيق ويدل على ذلك ما اشتمل عليه من خطاب سيدي الغالى بو طالب للعلامة بن المشري قيد حياة سيدنا رضى الله عنه ، والعلامة بن المشري أرفع منزلة وقدرا وعلما على المقدم سيدى الغالي بو طالب ، فنسبة ما ذكر إليه هنا منتحل مكذوب عليه فلا شك من جهة السند هنا ، ومن جهة أخرى وهي ما اشتمل عليه هذا الذكر من التصحيف والتحريف وركاكة العبارة ، فلا شك فى تقوله عليهما معا . على أنه أيضا ليس هذا من باب الطي المشهور عند الخواص ، زيادة على ما اشتمل عليه من إيصائه بكتمه ومثل ما فيه الطي أو يوجب

الذي ينبغي تعليمه للناس ليعملوا به في تحصيل ثوابه فلا شك أنه مكذوب . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الكلام على التقديم المطلق وما يدعيه بعض المقدمين من الإطلاق لهم فى تلقين جميع أذكار الطريقـــة .

كثير من المقدمين ، يزعم أن له الإذن فى التقديم المطلق . وإذا سألته عن مستنده توقف فيه ولم يروه عن أحد عن الشيخ رضى الله عنه يرويه . وربما إذ كر مقدما مجهولا رواه عنه . وهكذا شأن غالب من يزعم الإطلاق له فى التقديم .

ومعنى الإطلاق : أن يأذن فى سائر الأذكار المروية عن الشيخ رضي الله عنه ويلقن منها ماشاء لمن شاء ، بشرط وبغير شرط ، ويقدم من قدمه من شاء أيضا لذلك ، وهكذا من غير حصر فى عدد المقدمين الذين يقدمهم . وهو عندنا فى الطريقة أعز من الكبريت الأحمر . والمتظاهر به أغرب من الغراب الأصفر . ولا يتظاهر به غالبا إلا أصحاب الأغراض الذين ينسبون لأنفسهم المزايا ، ليكثر لهم الإخوان الهدايا ، لينـــالوا منهم تلك الخصوصية ، وهم بذلك لا تقـــديم عندهم لا بتقييد ولا بإطلاق .

والتقديم المقيد : هو الإذن فى التلقين ممن عنده التقديم الصحيح بالإذن الصحيح من مقدم من الشيخ أو ممن قدمه الشيخ ، وهكذا بواسطة أو وسائط فى تقديم عدد من المقدمين ، وهؤلاء المقدمون يقدمون كذلك عددا خاصا إلى انتهاء العدد — أو يكون المقدم لا يقدم غيره وإنما يلقن الأوراد لا غير .

وقد حصل الغلط عندنا فى هذه الطريقة لكثير من المقدمين للتلقين ، فيظنون أنهم مأذون لهم في التقديم وهم لا إذن لهم بذلك . فليحذر المقدم الذى يحب السلامة لنفسه أن لا يتجاسر عن الإذن بالتقديم لغيره إن لم يكن عنده الإذن به ، كما يحذر المريد الذي لا إذن له فى التقديم ، أن يلقن غيره شيئا من أذكار الطريقة على سبيل اللزوم ، ويدعى ما يدعيه المقدم لتلقين من طلبه . وقد كثرت التقولات في هذا

الباب من المدعين لالخصوصية . والله المسئول أن يلهمنا رشدنا ويتوب عنا ويوفقنا لأعمال يرضاها منا آمين .

## الكلام علي تعدد المقدمين فى الزاوية الواحدة والبلدة الواحدة وما ينشأ عن ذلك من التعصبات والتقولات وغير ذلك مما يوجب الإنكار على الطريقة

قد جعل الله النفوس من طبعها تتشوف للمراتب العالية ، وتعمل ما أمكنها فى نيل المزايا التى تفوق بها غيرها من ابناء الجنس. ومتى حصلت على منقبة إلا وتشوفت لأخري ، ولم تقنع أبدا بما وصلت إليه فى المعنى والحس من سائر المطالب ، لأنها تحب الرياسة والتصدر فى الأمور . ولم ينج من الحظوظ النفسانية فى ترقيها وتدليها إلا من أخذ الله بيده . لأن الشيطان متسلط على النفس ، وهي منقادة بحباله التى يدليها إليها فى مقامات سلوكها في مسالك أهل السعادة ، ليحصل منها مقصوده من الغرور ، فتبوء بمثل ما باء به من الطرد . وعلي الأقل تكون به فى قيد العصيان ، مقيدة بما اقترفت بعلم وبغير علم ، وما اكتسبت من الإثم . فيسول لأهل الطبقات الدنيوية ما يسوله لأهل الدرجات الدينية ، كل على حسب ما يجتهد به فى تضليله ، ويبث فى القلوب ما يستنتج به مبتغاه .

وإذا نجا منه عارف بأحواله ، يأخذ ثأره من أصحابه وأقاربه ، ويجلب عليهم بخيله ورجله ، بما ينال الحظ الأوفر به منهم ، فى سبيل إغوائه وأهوائه التى تقعد بالنفوس إلى مالم يكن لها بحسبان ، ويقف ناظرا لها عن بعد ، وهي تهوى فى مكان سحيق ، من سوء ما صنعت ، متبرئا مما فيه وقعت ، ليرجع إلى غوايتها مرة ثانية إذا نجت ، وإلا فقد ظفر منها بمقصوده من إضلالها ، فتكون شريكة معه فى الطرد الذي أصابه بسبب آدم ، فهو من بنيه ءاخذ بثأره ، إلا عباد الله المخلصين .

ولما سلطه الله على بني آدم ، علمه سبحانه بقوله : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) . ممن أضافه الحق إليه ، أو أضاف نفسه إلى الحق ، فخفض جناحه للإضافة ، ولم يرتع نفسه بتا ثاله من ولاية

أو خلافة فعامل الخلق بالحق، مراعيا فيهم وجه الحق، سالكا بهم مسلك الرفق، من غير أن يكون منفرا ولا موافقا على التنفير. فإن الخلق عيال إليه، وقد استعمل الحق أهله في عيالهم. وكل شخص مسئول عن رعيته. وأقل رعية للشخص جوارحه الظاهرة والباطنة. ثم تتسع رعايته لرعاياه من أهل وأقارب وأموال وأقوال وأعمال وأحوال إلى غير ذلك مما أنيط به من التكليفات من أوامر ونواهي، وما يضاهي ذلك. فلم يبق للعاقل مجال يجول فيه مع غيره في رعيته. فهو بنفسه دائما مشغول بها مأمور بإصلاحها، وتدارك أموره لنيل فلاحها ورباحها.

وقد وفق الله من أخذ بيدهم فربحوا وربح من خالطهم، فأقامهم في طرق الإرشاد نوابا عن سيد المرسلين، فكانوا من المهتدين الهادين إلى الحق بالحق في الخلق. من أكبر صحابي إلى أصغر ولي وأصغر شيخ وأصغر مقدم في تلقين الطرق فكلهم نجوم اقتداء واهتداء طالعة في كل أفق. مبينين للناس طريق فلاحهم ونجاحهم. وكل واحد منهم يؤكد لمن وفقهم الله إليه، الوصية بالقيام بما أمر الله به قبل كل شيء. ولا يدلهم إلا على الله وما يقربهم منه، مع التنبيه على قاطع الطريق في الوصول إليه، وهو إبليس وجنوده. فلا عدو في الحقيقة إلا إبليس ومن معه، لأنه ناصح في غرور، يوقع الشخص في سخط الله من غير شعور.

والشيوخ أمناء الحق في الخلق. كل واحد منهم مرشد رشيد. ولا يضر في نفس الإرشاد، في تحصيل المريد على المراد، ما يكون عليه بعض المرشدين، مما يعرض له من الأغراض الشخصية، والتوسط بهم في قضائها، أو إحرازها منهم، ولو على وجه الغرامة في نظر المأخوذ منه ذلك، أو نظر المتقدمين. فإنه من عرف ما قصد، هان عليه ما وجد.

إلا أن أصحاب الأغراض، يتوجه إليهم المنكرون بالانتقاد. وقلما نجا من ألسنتهم السالكون على الجادة من طرق القوم، فأحرى غيرهم، ممن يظهر عليه منهم أدنى شيء يستحق النكير. وقد اشتهرت طريقتنا الأحمدية من بين سائر الطرق،

بأنها ممتازة بترك تشوف المقدمين لما في أيدى المريدين . وإلا فهو فى خطر عظيم إن اتخذ التقديم حرفة بين إخوانه وغيرهم . فالأولى له الاشتغال بإصلاح نفسه قبل كل شيء ، ومعالجتها من هذا الداء العضال ، الذى حارت أطباء النفوس في علاجه . وهو أسرع مرض للنفوس القوية ، فأحرى الضعيفة ، بالعدوى المهلكة . لاستيلاء حب العاجلة التي هي المقصودة من الرياسة الدنيوية بين أهلها . وتقضي بالوبال العاجل فى أهل الرياسة الدينية .

وأعظم باب انفتح في وجوه المنكرين على الصوفية ، هو مايحصل من بينهم من التنافس فى حب الترأس . والتظاهر بالدعاوى العريضة ، التى تنفعل بها القلوب المريضة ، سيما بين أهل الطرق مع تعددها . وقد عمت البلوى حتى صار يوجد ذلك فى أهل الطريقة الواحدة . فتتحزب فيها الأحزاب للمحق والمبطل من الشيوخ ومقدميهم . ومنشأ التحزب لايكون غالبا إلا للحظوظ النفسانية . فإذا زالت الحظوظ حصل الوفاق المطلوب . وسلمت من التكدرات القلوب .

ولما رأي سيدنا الختم التجانى رضى الله عنه قيد حياته ، تحزب بعض أصحابه لبعض الخاصة من أحبابه ، نصح للجميع بقوله : من يعرفنى يعرفنى وحدى . فأمرهم بصرف الوجهة إلى ترك ما يقطعهم عن الوصول المطلوب من التقييد بحبل الطريقة . في معرفة غيره من مقدميه لتلقين طريقته ، ما يفضى إلى التنافر والتباغض بين ذلك المقدم وأحزابه ، وبين غيره من مقدم آخر وأحزابه . مع أن الطريقة واحدة والمقصود منها واحد . ويعد المتحزب عليه حينئذ كالشيخ الذى قام بتلقين طريقة غير طريقة شيخه ، فقد خرج من عهد شيخه المنسوب إليه ، فكان داعية لما شاءه . والمريد التجاني ممنوع من أخذ طريقة أخرى على طريقة شيخه . ولهذا تعين أن لايكون فى كل زاوية من زوايا الشيخ رضى الله عنه إلا مقدم واحد ، من غير تعدد فيها لتلقين الأوراد ، بل ينبغي أن لايتعدد المقدم فى القرية الواحدة ، بل والبلدة الواحدة المتصدر للإذن ، خشية التحزب منهم أو من الآخذين عنهم . فيحصل من الجميع تقولات بالكذب على الشيخ رضى الله عنه وعليهم . كما هو الواقع فى بعض البلدان

التي بها الزوايا متعددة . أو الزاوية الواحدة التي فيها تعدد المقدمين : وغالبا مايؤدى ذلك منهم إلى التقاطع والتباغض والتحاسد، ونحو ذلك ، مما يبرهن للعامة والخاصة أن من يتسرع لذلك غالبا لايكون إلا مخذولا منقطع الحبل بينه وبين الشيخ رضى الله عنه . فلا ينبغى للمريدين أن ينصرونه فيما يريده من الأمور التي تشفي غليله من الانتقام ممن رأى منهم مالا يوافق غرضه . فإن الإخوان كلهم سواء مادامو محافظين على أورادهم ، المورود موردها العذب فى الحضرة الأحمدية . ولا كلام لنا مع المنقطعين فيها لأنه لا يصدر منهم غالبا إلا موجبـــات التنكير . وهم بأنفسهم يعينون أهل الإنكار على الانتقادات المرة ، المرة بعد المرة ، بما لا أصل له في الطريقة من التقولات والأعمال الغير المرضية .

وإذا تقرر هذا ظهر لأهل الإنصاف أن التعصبات والمنازعات الواقعة بين المقدمين لا دخل لها في الطريق . وكل ما يتسبب عن ذلك لا ينبغى الالتفات إليه . فإن الطريقة الأحمدية مبناها على أداء المفروضات ، وذكر الورد اللازم بالوفاء بشروطه المقررة إلى الوفاة ، مع اجتناب ماأمكن من المنهيات . ومازاد على ذلك فهو فى الخير فضل ، وفى غيره فضول . كما قررنا ذلك غير ما مرة . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

## الكلام على الفرق بين الإذن فى أوراد الطريقة اللازمة وغير اللازمة . وبين الإذن فى التقـــديم لتلقين ذلك والغلط الناشىء لبعض المأذون فى ذلك لهم .

يظن كثيراً ممن يتعاطى العلم ويعد من الطلبة الذين دخلوا فى هذه الطريقة الأحمدية ، إذا استجازوا المقدمين فى الطريقة ويأذنهم فيها المقدم المجيز لهم ، بأنه أذنهم حتى فى تلقين الأوراد . وربما ظن المأذون له بإجازة علمية ممن قد استجازه هذا المأذون له فيما أراده من شيوخه من الإجازة ، فظن أنه مأذون منه حتى فى أذكار الطريقة حيث إن مجيزه لم يقيدها بشروطها أو لم يتعرض لها فى الإجازة . كما

وقع لكثير من العلماء فى هذه الطريقة إما جهلا منهم أو غفلة غفلوها . فيعتمد هذا الملقن على تلك الإجازة مع أنها لا تكفيه ، حيث إنه يظن بتلك الإجازة أنه مأذون في الأذكار اللازمة وفى غير اللازمة أيضا . فيذكر ذلك من غير إذن له فيه ، فيكون في ذلك كغيره ممن لا إذن له فى الطريقة . فلا يحصل على مزية اتصال نورانيته بنورانية المجيز فيها . فإن السر كله فى الإذن من الشيوخ فيها .

وقد اختلف علماء الأسرار في كون السر هل هو فى نفس الذكر أو فى عدده أو فى الإذن فيه . وكل واحد منهم له ملحظ فيما قال به . فبعضهم قال : والله ما وجدنا الأسرار إلا في الأذكار . وبعضهم قال : وهو فى الإذن من الشيخ لك فيها . وعلى هذه الجملة الأخيرة رمز الشيخ أحد مفاتيح الكنوز ، سيدى عبد الرحمن الشامي ، فى تأليفه في الوفق المخمس . وبعضهم قال : فى الأعداد وهم علماء من الارتماطيقي وذلك مقرر في محله . والمقصود من هذا بيان الغلط الناشيء لبعض المأذون لهم فى ذكر الطريقة فيذكرون أورادها مطلقا ولا إذن لهم فيها . وهم فى ذلك على خطأ بل لابد من الإذن الخصوصي فى ذلك بالتنصيص أو التعميم المصرح فيه بذلك . وأما مجرد الإذن في ذكر الأوراد اللازمة فإنه لا يشمل ذلك وكثيرا يتصدرون لتلقين الطريقة وأذكارها بهذا الاعتبار أو بإذن لهم ممن لا إذن لهسوى مجرد الاشتهار وهو على خطر عظيم فى ذلك . فلا ينبغى للمريد أن يعتمد على من لا إذن له صحيح فى ذكر من الأذكار في هذه الطريقة الأحمدية . كما يتعين على مريد السلامة لنفسه أن لا يتقدم بنفسه لتلقين الطالبين منه الأذكار العمومية والخصوصية إلا إذا كان له الإذن الصحيح من مقدم له إذن صحيح إلى الشيخ رضي الله عنه .

الكلام علي رفع الإذن عن المريدين من الشيخ رضى الله عنه
ومن المقدمين . وما يتقوله المتقولون فى ذلك .

قد يفضى بأصحاب الأغراض من المقدمين فى هذه الطريقة إلى تخويف إخوانهم برفع الإذن عنهم فيما تلقوه عنهم أو عن غيرهم من الأذكار اللازمة أو غيرها فيحصل

الجزع لذلك المريد مما هدده به ذلك المقدم الذي حمله الغرض الشخصي إلى التفوه بهذا الأمر الذي يستحق عليه الملامة، وربما انقطع عن الطريقة إن كان له تعلق بها فإن الغالب صدور مثل هذا التهديد ممن لا إذن له في التلقين ولا اتصال له بحبل الشيخ رضي الله عنه، وإنما هو صاحب أغراض، بها امتلاء قلبه بصديد الأمراض فلا علاج له إلا بالمبادرة للتوبة وتجديد الطريقة لا على وجه التبرك بل على وجه الالتزام على يد مقدم له صحيح الإذن من الشيخ رضى الله عنه بوسائط صادقين فإنه كثر ادعاء التقدم للتلقين. واختلط المحقون بالمبطلين. فإذا كان المريد تلقى عن هذا المخوف له بعض الأذكار أو الطريقة، فلا عليه فيما يخوفه به إن لازم الأدب، ولم يقابله بمكروه بين ذوى الرتب. لأن رفع الإذن لا يكون إلا بما تقرر في الطريقة من ترك الورد أو زيارة الأولياء. أو أخذ ورد على ورد الشيخ فيها. فهذه الأمور الثلاثة هي القاطعة لحبل الاتصال بالشيخ قدس سره في طريقه. وهناك أمور أخرى تفضى إلى الانقطاع ليس هذا محل لبسط الكلام فيها. وربما كان منها سوء الأدب مع المقدم المتجرىء على القول برفع الإذن لأنه ربما يفضى سوء الأدب معه إلى سوء الأدب مع الشيخ قدس سره، فيقع فيه فينقطع عن الطريقة بسبب ذلك. وإن كان المتجرىء برفع الإذن عن المريد قد يحل في القطيعة بما خوف به المريد. فإذا فرضنا أنه قال له رفعت عنك الإذن. فإنه لا يرتفع عنه إذا كان الإذن في ذلك متلقي عن مقدم صحيح الإذن. وإلا فهو مرفوع عنه لتلقيه ممن لم يكن لديه صحيح إذن. مع أن حرمة المقدم كحرمة الشيخ رضى الله عنه. وقد قال الشيخ ابن عربى قدس سره.

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله      فقم بها أدبا بالله لله

فإن رفع المقدم الإذن عمن أساء عليه الأدب فى الحق، فإنه يرتفع عنه بما يجره ذلك إليه. ولهذا استحسن بعض الخواص من المقدمين تجديد الإذن على وجه التبرك من المقدمين لتقوى الرابطة بإذنهم للمريد المتبرك بالتجديد. وإن كان شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوى يقول إنما الإذن واحد

لا يحتاج إلى تجديده فيمن تلقاه ممن لديه الإذن الصحيح. فالمقدم الذي يلقن أوراد الطريقة منزل منزلة من بيده مصباح نور، كل من أخذ عنه اشتعل مصباحه، فإذا انطفأ مصباح المقدم فإن الآخذ عنه لا ينطفيء مصباحه إلا بموجب. ومن أخذ عن مقدم لا مصباح بيده، فلا يشتعل له مصباح إلا بإذن ممن بيده المصباح. وقد تنطفيء جميع تلك المصابيح بانطفاء نور مصباح المقدم إن كانوا على شاكلته، فيؤمرون بالتجديد. ويتعين على المقدم الذى انطفأ مصباحه أن يرشد من أخذوا عنه إلى التجديد. كما وقع ذلك لبعض الخاصة من أصحاب الشيخ رضى الله عنه فقد أمره بالذهاب إلى الآخذين عنه ليأمرهم بالتجديد على مقدم آخر دونه. وقد تشمل العناية المقدم الذي لا مصباح بيده وأخذ عنه غيره، باشتعال مصباحهم باشتعال مصباحه، بمعنى سريان الإذن لهم بالإذن له من مقدم صحيح الإذن. كما وقع للمقدم السيد الحاج المفضل السقاط مع الشيخ رضي الله عنه، وقد كان أجاز جما غفيرا فى الطريق. فقال الشيخ رضي الله عنه لم أكن أذنته والآن أذنته ولم يأمره بإعادة الإذن لمن أخذوا عنه.

والحاصل أن المدار على ملازمة الأدب مع المقدمين. وملازمة الأذكار اللازمة بشروطها. ولا خوف عليه بحول الله من ذلك التهديد والتخويف ممن يزعم أنه يرفع الإذن عنهم. والله يكفينا بمنه شر كل ذي شر والحمد لله رب العالمين.

### الكلام على ما يزعمه بعض المقدمين من كون الإذن حاصل لهم فى تلاوة الفاتحة بنية الإسم الأعظم وغيره من الأذكار التي تقوم مقامه.

سيأتى لنا بحول الله الكلام على الحروف الأهمية التي شاعت وذاعت بين بعض الإخوان بأنها الإسم الأعظم الذى كان الشيخ رضي الله عنه يذكره. فاشتغل بعضهم بذكره من غير تحقيق لمعناه، ولا اتصل إذن من الشيخ رضى الله عنه لهم فى ذكر ذلك. وفيه كفاية لمن يسلك الطريق المستقيم ويبغي السلامة لنفسه في الدنيا والدين

«م ـ ٦ جناية المنتسب»

والكلام هنا في مثل ذلك مما يدعيه بعض المقدمين الذين يحبون التصدر في الإخوان بالإذن لهم في تلاوة الفاتحة التي هي أم الكتاب بنية الإسم الأعظم، وأنهم مأذون لهم في ذكرها . ويتقولون في ذلك ما تسوله لهم أنفسهم من المزايا والخصائص، وما تحت ذكره من الفضائل والأسرار المنوطة به ، من الأمن من السلب والوصول لأعلى المراتب بذكرها بتلك النية ، ونحو ذلك مما يتشوف إلى تحصيل الفقراء عليه بما أمكنهم ، من التعلق في الإذن لهم في تلاوتها بتلك النية التي يذكر لهم فيها صيغا مختلفة على حسب ما اقتضاه نظره . وربما ذكر تلبية يصرح فيها بمقصوده تالي الفاتحة بتلك النية ويتقولها على الشيخ رضى الله عنه وعلى خاصة أحبابه ، ولا يعرف معنى تلك النية ويتقول عليهم فيها بما ظهر له . ومقصوده من ذلك كله التظاهر بمظاهر أهل الخصوصية لتكون له المكانة من القلوب ، ولا عليه فيما وراء ذلك من المؤاخذة المنوطة به فيما انتحله من ذلك . وربما أفضى به الجهل إلى تلاوة الفاتحة في الصلاة بنية تخرجها عن أداء الفرض فتبطل صلاته من حيث لا يشعر . وقد يفضي به حب الترؤس إلى دعوى معرفته بأذكار تقوم مقام الاسم الأعظم في الثواب والخاصية . فيتقول ذلك في أذكار ليست من هذا الباب ، أو وردت عن الخاصة فيه ، ولا إذن له في ذلك . ويتجرأ على تلاوتها أو الإذن فيها وهو في ذلك من الدخلاء فيما ليس لهم فيه نصيب .

ولقد كان سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه ، لا يأذن في الفاتحة بنية الاسم إلا لبعض الخاصة من أحبابه الذين له الأمان من جهتهم في عدم التوجه بتلاوتها لغرض من الأغراض . ورفع الإذن في ذلك عن جماعة ممن كان أذنهم بتلاوتها ، حتى لا تلحقهم في ذلك مضرة دنيوية أو دينية إن استعملوا ذلك في غير الوجه المستعملة فيه .

ولهذا يتعين على طالب السلامة لنفسه أن لا يخوض مع الخائضين في هذه الأذكار بهذه النيات المتداولة بين أيدي بعض الأخوان . ولا يتجرأ على العمل بما ليس له به معرفة ، ولا توصل به من يد أهل الجد في الطريقة الذين لا مقصد لهم في

تلقين الأذكار الغريبة لطالبها منهم . والشيخ رضي الله عنه يحذرهم من تلاوة مثل ذلك . وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم مصيبة .

وقد ذكرنا بعض تلك النيات مع صيغ تلقيناها ممن عرفنا ثقته بما لنا من الإذن في ذلك . والله يقينا بمنه شر أنفسنا في التداخل فيما لا يعني ، ويوفقنا لما فيه رضاه آمين .

## الكلام على حلقة الذكر وما تقوله المتقولون في ذلك

كان الشيخ رضي الله عنه يحض أصحابه على حضور حضرة ذكر يوم الجمعة إلى الغروب . ويقول لمن لم يحضرها : أما فاتك من خير ؟ وقد كانت الجماعة الذين يحضرونها من الإخوان على أتم مايكون من السكينة حالة الذكر ، مع خشوع وخضوع وخفض أصوات من غير تخليط . وقد سمعهم مرة يذكرون بغير ترتيل مع تمطيط وغنـــة ، فخرج عليهم رضى الله عنه ، وقال لهم : أى شيء في هذا . لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله . يعني بذلك النطق بها بالمد الطبيعي وترك التصويت المخل بالذكر . وربما كان أثناء الذكر ينشد بعض المسمعين القوالين أبياتا بنغمة تهيج النفوس وتريحها من حرارة الذكر وتشوقها إلى العالم الأسنى كما قال أبو مدين :

ألم تر أن الطير يرقص يافتى إذا ذكر الأوطان حن إلى المغني

من غير رقص يؤدي إلى نقص . على ما جرى عليه العمل في الطريقة الخلوتية ، لا ما عليه غيرها من الطرق . وليس هذا بمحل لبسط الكلام على ذلك . وإنما الكلام فيما صار عليه الإخوان بعده مع اتساع دائرة الطريقة التي دخل الناس فيها أفواجا أفواجا من أصحاب الطرق الأخرى وغيرها . فانتقلت حالة عمارة حضرة الذكر إلى حالة أخرى مما يعد زائدا على ما كان عليه الشيخ رضي الله عنه . وصارت على هيئة لم تكن من قبل . كل واحد من أهل الطريقة وغيرهم يتقول فيها ما شاء على حسب ما ظهر له . وفي الحقيقة إنها حالة مبتدعة قد تحولت بالذاكرين إلى عمل لم يحضره من كانوا معتادين للحضور مع الشيخ رضي الله عنه في حضرة ذكر الطريقة التي

كانوا عليها . وقد كثر التقول فيها . وزادها صبغة انتقاد حضور الأحداث فيها ،
واجتماع النساء بباب الزاوية، ويستمعون للنشيد والأصوات المطربة. ويكثر الازدحام
حتى يتعسر على الداخل بباب زاوية الشيخ رضى الله عنه التي بحومة البليدة من فاس
وربما انتقض وضوء بعض الداخلين لتلك الحضرة بما تسول له النفس له فى الازدحام
بين النسوان . وإن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجري الدم . مع أن الوقت والمكان
قاض بزيادة احترام الحرمات ، والبعد عن المنكرات ولقــــد تعشق جل الناس هذه
الكيفية ، وحملتهم نساؤهم علي إقامة الحضرة فى منازلهم فى أفراحهم ، تنشيطا لهم .
وكاد أن يعد ذلك من الفرجات التى تقام للجمع للمأكل والمشرب والسماع . غير
أنهم يفرغون ذلك فى قالب التبرك بالإخوان فى تلك الأفراح وكذلك فى الحضور
للجنائز . ويتحف مقيم الوليمة زعيم الجماعة التى حضرت مع المسمعين بدراهم . وغالب
من يحضر لمثل هذه الوظائف جماعة خصوصية قلما يحضر معهم غيرهم لعدم استدعائه
من زعيمهم الذي يتخذ يد الشكر عندهم باستدعائهم ، وربما قدم وأخر فى استدعائهم
على حسب ما ظهر له ، وهناك تجد نفوس المتشوفين للحضور لأنواع الأطعمة حاقدة
وتضمر العداوة والبغضاء له ولمن لم يستدعيهم ، وتنطلق الألسنة بالثناء أو السب
للبعض فى البعض ، مما لم يكن فى الطريقة . ولا تسأل عما يتقوله المتقولون . إلى أن
قيض الله من صدع بين الإخوان بالحق . فصادفت كلمته قبولا . وصادقت على
قطع هذه البدعة من الزاوية جماعة من أعيان علماء الطريقة الموفقين ، فى مقدمتهم
سلالة الفضل المسارع للخيرات سيدنا محمد الكبير بن مولانا البشير حفيد الشيخ
رضي الله عنهم . ومن ذلك الوقت صار ذكر الجمعة يتلى سردا بالعدد الذي كان
الشيخ رضي الله عنه عينه لأصحابه في الوقت المخصوص به . فكانت هذه الحسنة
فى ميزانهم . وقد طهر الله باب الزاوية من ذلك الازدحام وتلك البدعة التى تفاحش
أمرها منذ أعوام ، وإن لم تطب بذلك نفس بعض العوام . لأن البدعة فى أقرب
وقت تتمكن من القلوب ولا تسمح النفوس بمفارقتها إلا بالقهر . فلم يبق لقائل
ما يقول فى حلقة الذكر الجارى العمل بها الآن إلا من أصحاب الأغراض الشخصية
الذين لم يعد علي مثلهم الخطأ في الإنكار علي الصوفية . ولسنا بصدد ذكر

ما يوردونه فى هذ المقام ، لا بإبرام نقض ذلك ولا بنقض الإبرام . مع أن التقولات على الطريقة فى هذ الأمر لا زالت تنتشر من الإخوان فأحري من غيرهم . فالمتعين على المريد الصادق ملازمة طريق الصواب، وعدم الالتفات للمنتقد بغير الحق فى فتح مثل هذا الباب . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الكلام على ما قيل فى الورد المختصر فى الطريق والتقولات المنوطة بذلك .

يقول بعض من لا علم له بالطريقة الأحمدية التجانية يدعي لبعض المقدمين الذين تقدموا بأنفسهم لتعاطى الإذن في أذكارها ، أن فيهـــا وردا مختصرا عن الورد المعلوم بين الإخوان ، أن يلقن لكل من طلبه على أى حالة عليها كان ، من غير التزام شروطها من ترك زيارة وأخذ طريقة أخرى ونحو هذين الشرطين مما فيه من التساهل في التقيد بحبل هذه الطريقة ما عليه من مزيد . ومقصودهم بذلك استكثار الإخوان فيها ممن يريد الدخول فيها ولا يقدر على القيام بالشروط المقررة والأركان التى فيها معتبرة . مع أن هذا من التقولات في الطريقة ولا أصل لهذا المختصر المذكور على هذه الكيفية ، وهي التزام الورد الذى هو ذكر الاستغفار وصلاة الفاتح لما أغلق والهيللة عشر مرات صباحا ومساء والحضور ما أمكن مع الاخوان لقراءة الوظيفة وذكر الجمعة، من غير التزام لقراءتها . وإنما يذكر هذه الوظيفة كيف ماتأتى له ذكرها ، وأن يذكر ثلاثمائة من الهيللة بعد صلاة عصر يوم الجمعة وبعضهم يوظف فى هذه الأذكار عدداً آخر . والشائع في هذا الورد المختصر ماذكرناه . وهو لا عمل عليه فى الطريق . وإنما يفعل ذلك من الملقنين للأوراد من غير إذن لهم صحيح . فهم متقدمون بأنفسهم لمثل هذا ويقولون هذا الورد المختصر يوافق الناس ليدخلوا فى زمرة أهل الطريقة ، ويكونوا بذلك من المحبين في الشيخ رضي الله عنه أحسن من عدم نسبتهم له . فيعملون بذلك على حسب ما اقتضاه نظرهم . ويلقنون الورد التام لمن أحبه ممن لم يرد اختصارا فيه . وربما يجمعون الإذن له على وجه التخيير في ذكر ما شاء منهما . وهذ غاية ما نراه من المتلاعبين بالطريق . فلم يبق لهم إلا أن يقولوا اذكروا أو لا تذكروا تكفيكم النسبة والمحبة بعد التقيد بالعهد وقد

سمعت هذا بفسي من بعض المقدمين الذين أتحقق أنهم من ملامتية الطريق. ولا أدري من أين لهم هذا الأمر الذي لم يكن عليه عمل المتقدمين من المقدمين، ولا قاله إلا أهل الأغراض الشخصية من المتساهلين، وهم بلا شك في الطريقة من المنقطعين. فلا ينبغي للمريد الاغترار بهم وليلبه من يقول بذلك أن هذا الأمر من المختلق المنقول على الطريقة، ليكون على بصيرة من ذلك من أراد التقيد بحبـــل ذكرها المعهود، والاندراج في سلك السالكين فيهـــا بالقصد المحمود. فإنه لا اختصار في أذكارها.

ومن العجب ما سمعته من بعض العلماء فيها أنه يكفي ذكر صلاة الفاتح لما أغلق مرة واحدة بترتيل واستحضار، ثم يقول في العدد الباقي اللهم صل عليه اللهم صل عليه وهكذا إلى ختم المائة في الورد والخمسين في الوظيفة ونحو هذا على سبيـل الاختصار. فهذا أيضاً مما لا عمل عليه عندنا في الأذكار اللازمة في الطريقة، لمن أراد السلوك فيها على الحقيقة. فليقف الموفق في هذه الطريقة على قدم الجد والاجتهاد وليعمل فيها على مقتضى الصدق في نيل المراد. والله الموفق.

السكلام على كون الطريقة التجانية لا تلقن إلا لمن التزم شروطها.
وأنها لا تكون على وجه التبرك من غير التزام كما يزعمه بعض
المتساهلين من المقدمين. وهم بفعل ذلك من المنقطعين،
لا يؤخذ العهـــد عنهم فيهـــا.

قد اتفقت كلمة كل العارفين على أن توجه الهمة لشيء واحد يفضي بها إلى الاحراز عليه، والتوصل إلى الغاية القصوى به في أقرب مدة. وقد قال أويس القرني رضي الله عنه: اجمل وجهتك لوجه واحد يكفيك الوجوه كلها. ورحم الله الشيخ السيد حمدون بن الحاج حيث يقول:

إذ كان منك اختصاص بي فويت علي ... ما شئت مني بتفصيل وإجمال
وإذ غدوت مشاركا ضعفت فلم ... تعمل وأهملت عندي كل إهمال

كالحرف عند اختصاصه له عمل وفي التشارك لم يفز بأعمال

فالاختصاص بالشيء والتوجه إليه بقلب وقالب، ينتج النتائج المحمودة ويقصر المدة الممدودة. ولهذا نصح الكمل فى التزام طريقة واحدة لمن يريد الوصول لمراده وليس مقصودنا الآن الاستدلال على هذا لكونه مفروغا منه، حيث تقرر فى الطرق العاليـــة المبنية على أساس التقوي من الله والرضوان، وبالأخص طريقتنا الأحمدية التجانية، حتى صارت كأنها المختصة بهذا الأمر. وكثير من الناس يحبون الدخول فى حزبها، ويصعب عليهم الانفراد بها وترك التقيد بغيرها، ظنا منهم أن كثرة التعلقات بأذيال الشيوخ فى السلوك، من الأمر المحمود الذى ينال به المقصود مع أن الأمر المحمود الذي ينال به المقصود بخلاف ما يظن فإن الولد الحقيقى لا آباء متعددين واللون الواحد أقوى مما اختلطت فيه الألوان. وصبغة السواد الأعظم لا يظهر معها لون. والمتقيد بمذهب أولى ممن لا مذهب له. والمحمدى لا يكون على ملة أخرى. وفى هذا تنظير للتقريب للأفهام. وإلا فالأمر يرجع إلى الغيرة ولا أحد أغير من الله، فإنه يغار على أهل نسبته.

فإذا تقرر هذا الاختصار، اتضح لك مايعمل به بعض المقدمين من تلقين الورد لمن بيده عهد شيخ طريقة أخري، أو لمن يريد الدخول فيها من غير التزام شروطها والقيام بأركانها، غير صواب يعد من التساهل المؤدي إلى الانقطاع بفاعل ذلك، ولا يعد من المقدمين الذين يقتدون بالشيخ رضي الله عنه. فالأولي له الاشتغال بإصلاح نفسه بطلب التجديد له في الدخول للطريقة، حيث سلب منها بفعله ولا يعد الآخذ منه من المريدين علي الحقيقة، في هذه الطريقة. بل ينبغى له أن يأخذها ممن له الإذن الصحيح فيها، ممن سلك فيها على قدم الجد، بمراعات ماقرر فيها وشرطه مؤسسها الذى تلقاها عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهو الشيخ رضي الله عنه وعن النبى صلي الله عليه وسلم تلقي تلك الشروط لمن يريد أن يكون من أهلها شفقة عليه منه عليه السلام. وأخذا بأيدي المريدين فيها لتقرب له مسافة التقرب للحق والوصول إليه والظفر بالفتح المبين المضمون لأهلها مع الفضل العظيم المنوط بها. وذلك فضل الله يؤتيـــه من يشاء.

فالسالك في هذه الطريقة لابد له من الانفراد بها ولا تلقن على وجه التبرك بل لا يصح الدخول فيها إلا على وجه الالتزام فيها بحيث يلتزم القيام بها إلى أن يلقى الله موفيا بعهده المأخوذ عليه فيها. بخلاف الآخذ على وجه التبرك، فالآخذ به لا يلزمه القيام بما أخذه من ذلك. وكل من يزعم أن طريقتنا التجانية تؤخذ على وجه التبرك فقط فقد افترى كذبا فيها يخشى عليه من السلب والانقطاع نسأل الله السلامة. وقد حصلت التربية بها لأهلها من غير خلوة ولا كبير مشقة بهمة الشيخ رضي الله عنه، وبركة سرها. وقد صرح بهذا المعنى صاحب رحلة التهاني حيث يقول في وصفه للشيخ قدس سره، وذكر منزلته والفرق بينها وبين منزلة غيره من الشيوخ رضوان الله عليهم:

بلا خلوة ربى وربوا بخلوة ... فشتان ما بين المزيدين منهلا

ولما يخشى على المريد من التشوف لطريق أخرى، تأكد عليه في هذه الطريقة أن لا يزور أحدا من الأولياء. وفي ضمن ذلك أسرار أخرى ومقاصد للشيخ رضي الله عنه تنفع صاحبه المتقيد بحبل طريقته الأحمدية. والمقصود من هذا كله نفع المريد بانفراد وجهته في سلوكه. وقد قال الشيخ الأكبر ابن عربي قدس سره: كما أنه لا يكون العالم بين إلهين، ولا أمة بين رسولين، ولا امرأة بين زوجين، كذلك لا يكون المريد بين شيخين، إذا كان مريد تربية لا مريد تبرك هـ. وبه تعلم أن ما يشيعه بعضهم من كون هذه الطريقة المحمدية التجانية، يسوغ الدخول فيها على وجه التبرك، من التقولات فيها، فلا ينبغي الالتفات لقائله ولو كان في تظاهره بين الإخوان في أرفع مكان.

تنبيه

فرق بين من يتبرك بتجديد الإذن على المقدمين في هذه الطريقة، بعد أن كان تقيد بحبلها بشروطها ولازمها بصدق نية ومحافظة على العهد، وبين من أراد الدخول فيها من أول وهلة. فإن هذا الأخير لابد من أخذه عن المقدمين على وجه الالتزام لا بنية التبرك. ثم له بعد ذلك أن يأخذ عن مقدم آخر على وجه التبرك بهذا المقدم لا على وجه التبرك بالورد اللازم فيها. واشترط في هذا المتبرك أن

لا يأخذ عن المتبرك به طريقة أخرى وإلا انقطع حبله الذي اتصلت به الرابطة إلى حضرة الشيخ رضي الله عنه. ولهذا يحتاج فى هذا المقال إلى مزيد تثبت واستبصار من مريد التجديد عن أي مقدم فى هذه الطريقة في سائر الأقطار. لأنه إذا لم يكن من ذوي المعرفة مع اليقين التام فيما تمسك به من غير تزلزل، فإنه تزل به الأقدام فى مسقط الانقطاع عن الطريقة. ولهذا حذر الواقفون على قدم الجد فى هذه الطريقة المريد من الأخذ عمن يلقن غيرها مطلقا، تفرعت عنها أولا. نظرا لحاله فى حال سلوكه حتي لا يميل بقلبه إلى غير الطريقة. فإن كان راسخ القدم فيما لديه وكان من ذوي المعرفة فما عليه فى ذلك إن أخذ عن أخيه في الطريقة الواقفين فيها على عين الحقيقة. وأما غير الأخ فى الطريقة من سائر من تظاهر بالمشيخة فلا يصح الأخذ عنه بحال وبالله التوفيق.

الكلام على كون الطريقة التجانية لا يصح تلقيها عمن يلقن غيرها من طرق الشيوخ كيفما كان وإنما تلقن وحدها ممن انفرد بها طول الزمان.

إعلم أن الحظوظ النفسانية والأغراض الشخصية دائما تدعوا أصحابها لاستعمال مافى وسعهم من الاحتيال للسيطرة علي ذوى النيات والمقاصد الحسنة، خصوصا من ينهج فى طريق الصوفية، أو يريد بعض الأذكار الخصوصية. وللناس ميلان بالطبع إلى من يشمون منه رائحة الظفر بمقصودهم منه، فيتعلقون بأذياله وأذيال أمثاله من محقين ومبطلين. وقد كثرت الدعاوى، وقل من يداوي. ولم يتمالك جل أصحاب الحظوظ من حبس زمام أنفسهم فى الوقوف مع الحق تبعا لأهوائهم، فعمل كل واحد منهم ما في طوقه في جلب القلوب إليهم، بتلقين الأذكار بلا إذن لهم فيها، وبإدخال طريقة في أخري، والتظاهر بأنهم مأذون لهم في تلقين الفقراء لأى ذكر شاءوا ولأي طريقة أرادوا التقيد بحبلها. وقد نحا منحاهم بعض المقدمين فى هذه الطريقة ممن يحبون تسخير العامة لهم ولأغراضهم وميلان الإخوان إليهم فيعملون على التساهل في الإذن بتلقين الأوراد والأذكار إليهم، من غير اعتبار شروطها المشترطة فى نيل خاصيتها. ولا يالون بتلقينها مع غيرها. بل تقضى عليهم مكانتهم

من القلوب أن يأذنوا فى طرق متعددة معتمدين علي ما سنح لهم من الاذن لهم من المتساهلين أمثالهم ، أو بحملهم ذلك على إجازات لهم من شيوخهم . فيظنون أنه مأذون لهم فى ذلك بلا شرط ولا قيد ، أو يعتمدون علي مرائي يرونها فى حل عقدة ما أحكمته يد اليقظة التى لا تأويل معها . أو يكون هذا المتظاهر بذلك ممن يتقدم بنفسه لذلك ، من غير إذن له فى ما قام به فى دعوى الإرشاد والتلقين ، متجرئا على حضرات أهل الله بما اقتضته أهواؤه وأغراضه فى الادخال والإخراج والتخصيص والتعميم ، مع عدم المبالاة بما يترتب علي ذلك وما يحصل له من النكال وسوء الحال في الحال والمآل . فإن التقدم لذلك بالنفس من علامة طالع النحس على فاعل ذلك. وقد تقرر فى طريقتنا الأحمدية أن لها شروطا وأركانا لا يتقدم لتلقينها إلا من كان قائما بذلك أتم قيام ، منفردا بها من سائر الطرق ، لا تذكر إلا وحدها بين العوام والخواص . فلا يعطى الإذن لمن كان متمسكا بعهد طريقة أخرى . ولا يلقنها من عنده عهد فى طريقة أخرى . ومن أخذ الإذن فى طريقة أخرى انقطع حبله منها سواء سلك فى تلك الطريقة أو لم يسلك فيها، لكون الانفراد بها من أعظم شروطها كما هو مقرر فى كتب الطريقة المعتمدة . ولهذا ينبغى أن لا يأخذ مريد يريدها ممن يتظاهر بالإذن فى غيرها معها لأنه منقطع عنها ، لعدم وقوفه مع شروطها التى لابد منها في حق المقدم والمريد .

فإن قلت فما تقول فى مثل مجيزكم الولى الصالح الشيخ السيد ماء العينين القائل إنى مواخ لجميع الطرق . وقد كان يأذن فى الطريقة التجانية وغيرها . فكيف لا تؤخذ عنه الطريق وهو من العارفين . وقد مدحتموه واعترفتم له بالمشيخة لكم فيما أجازكم به وأنشأتم فيه قصيدتكم الميمية الطويلة التى مطلعها :

لفرط حبى أرى حبى أراق دمي وفى طريق سواه ما أرى قدمي

قلنا : الشيخ ماء العينين على بصيرة من أمره ، عارف بما دعا إليه . ولعل ذلك حصل له بإذن خاص . واعتمد فى ذلك علي الإجازات التي تلقى من شيوخه فى العلم، وهم من أهل الطريق . فظن أنه مجاز في التلقين، كما يعتمد على ذلك غيره من المجازين

علي مجاز الأخذ باليد فى تلقين العلوم والمعارف والأسماء. أو تلقي التقديم فيها ممن لديه الإذن فيها من الشيخ رضى الله عنه، ممن انتشروا في الصحراء قيد حياته، ولم يبلغهم بعد الإذن لهم اشتراط الانفراد بالطريقة. فإنها كانت فى أول ابتداء ظهورها غير مشترط فيها ذلك، وكانت علي تنظيم خاص تذكر أورادها اللازمة مثل الطريقة فى كل يوم مرتين فى اعداد خصوصية غير ما هي عليه الآن. وبالوقوف علي تقديره لأورادها اللازمة فى كتابه نعت البدايات، يتضح لك أن الإذن الذي عنده من هذا القبيل.

أما إجازته التي أجازنى بها فهى فى جميع مؤلفاته بما اشتملت عليه، واحترزت فى طلبها منه عن الإذن في ما يخالف ما أنا متمسك به من شروط الطريقة. فأخبرته بأنى تجانى لا أريد التمسك بحبل غير الطريقة التى أنا سالك عليها من سائر الطرق التي عنده الإذن فيها، فأجابنى لذلك. على أنى لم أقصد الدخول في الطريقة التجانية على يده، لكوني متقيدا بحبلها قبل الاجتماع به. فعددت أخذى عنه من قبيل التبرك بالأخذ عن خواص المقدمين المفتوح عليهم فيها.

ومع ذلك فقد بلغ الخبر فى وقت اجتماعي به للعلامة زعيم الطريقة أبي الفتح السيد الحاج محمد كنون مؤلف حل الاقفال، فعاتبنى على الأخذ عنه. فأخبرته بقصدي وموجب اجتماعى به، فلم يقبل منى ما اعتذرت به. وأشار على بالتجديد فلم أوافقه فى ذلك الوقت علي ذلك. وقلت له إما أن يقول إن الشيخ ماء العينين ولى عالم أو عالم غير ولى. فغير الولى يسوغ الاجتماع به للمريد إلا إذا كان مبغضا، والفرض أن هذا السيد محب غير مبغض، بل إنه محب لأهل الطريق الأحمدي يعد نفسه من أهلها، وأحاشي جنابكم أن يمنع المريد أيضا من استجازة الشيوخ الموصوفين بالولاية، أو هم أولياء مثل هذا الشيخ رضي الله عنه، وقصدي من استجازته عدم ترك الطريقة لأخذ غيرها عنه، وبعد ما قررت له هذا بقي مصرا على الأمر بالتجديد، ووقع منى كلامه موقع اهتمام، لكوني فى ذلك الإبان لم أتحقق بمعنى الطريق والسلوك عليها، ولكن بحمد الله نيتى في ذلك الوقت خالصة

مع التصميم على المحافظة على ما هو مقرر فيها ، غير أنه شوش على بقوله ، وبينما أنا نائم ، إذ أشهدني الحق رؤيا حق ولله الحمد ، رأيت شيخنا الختم التجاني رضي الله عنه في صورة شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي ، فأخبرته بموجب مدحي للشيخ ماء العينين رضي الله عنه ، ومقصودي من استجازته وما أهمني من قول الفقيه المذكور ، فقال لي رضي الله عنه لا بأس ، فتحققت بحمد الله أنه لا تجديد علي ، وبعد ذلك جددت الإذن عن شيخنا العبدلاوي المذكور بعد إخباره برؤياي وكتب لي التقديم في الطريقة ، وعلى كل حال فإن أخذ الطريقة وحدها على المتظاهر بالإذن في طرق متعددة ، لا ينبغي لمن أراد الدخول في الطريقة من أول مرة . أما التجديد عليه من غير اعتبار غيرها من الطرق فلا بأس به إذا لم يكن ذلك الملقن من المتساهلين في حل عقدة شروط الطرق ، فيكون حينئذ من أصحاب الأغراض المتلاعبين ولأجل حسم هذه المادة فالأولى ترك التجديد عليه ، فأحري الأخذ عنه .

فإن قلت فما تقول في تجديدك للطريقة عن شيخك العارف بالله الولي الصالح مولانا عبد المالك بن محمد الضرير العلوي رضي الله عنه . فقد كان يلقن غير الطريقة التجانية أيضا ، وهي طريقته المالكية التي أمره النبي صلى الله عليه وسلم في تلقينها لمن طلبها منه ، وأنتم تقولون الطريقة التجانية لا تكون إلا وحدها . قلنا نعم إنها لا تلقن إلا وحدها . ولا يعد تجانيا إلا من كان يذكرها وحدها وتلقاها عمن يلقنها وحدها . أما شيخنا المذكور فقد جددناها عنه للتبرك ، لما له من كمال التقدم في معرفة الله بين خواص المقدمين والأولياء في وقته ، فقد كان رضي الله عنه يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، وقد جمع غير واحد مرائيه التي رأي النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، ولم يداخلنا شك في ولايته الخصوصية ولله الحمد ، وتبركنا بالدخول للمحل الذي اجتمع فيه بسيد الوجود مراراً ، وقد لقنه النبي صلى الله عليه وسلم طريقته المالكية ليلقنها لمن طلبها منه ، ولما كنا طلبنا منه الإذن في الطريقة ، استفهمنا عن أي طريقة نطلب منه الإذن فيها هل طريقته أو الطريقة التجانية ، بمقصدنا ، فأذن لنا في خصوص الطريقة التجانية ، وأخبرنا بأن طريقته فرع عن

الطريقة التجانية ، ولا يعزب عن علم من تحقق بالطريقة التجانية وما تفرع إليه من الطرق ، وكلها منها وإليها طبق ما صرح بذلك الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة رحمه الله في رسالة الفضل والامتنان ، لم يستنكر ما كان يلقنه شيخنا المذكور رضي الله عنه من طريقته ، ويلقن الطريقة التجانية لأنها منها . على أننا لم نطلب منه الإذن في طريقته ولم نأخذ في أول الأمر الطريقة التجانية منه ، وإنما جددنا الإذن منه ليكون لنا أبا روحيا وشيخا كبيرا في الدخول لحضرة الوصول ، وقد انتفعنا ولله الحمد على يده بحسب الاعتقاد وجميل الظن ، فلم يفتنا ربط رابطتنا بحبله في السلوك على أقوم سبيل ، وقد أشرنا إلى ما يتعلق بهذه المسألة في كتابنا تنبيه الإخوان ، فليراجعه من أراده ، وربك الفتاح العليم .

انتهى الجزء الأول بحمد الله

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

## بيان موضوعات الجزء الأول من كتاب : جناية المنتسب العانى

## فيما نسبه بالكذب للشيخ القطب التجانى :

| موضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
|  | ٧٤ |

انتهى بيان موضوعات الجزء الأول من كتاب : جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للقطب التجاني .